تفسير سورة الحجر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ
إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا
نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا
لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ
مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١-١٥].

Nostrabaw.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْكِتَٰبِ - رُّبَمَا - يَوَدُّ - ذَرْهُمْ - وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ - كِتَابٌ مَّعْلُومٌ - مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا - لَّوْ مَا تَأْتِينَا - مُنظَرِينَ - ٱلذِّكْرَ - لَحَٰفِظُونَ - شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ - نَسْلُكُهُۥ - سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ - يَعْرُجُونَ - سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا - مَّسْحُورُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾	قيل: المراد جنس الكتب التي أنزلت قبل رسولنا محمد ﷺ، ومنها التوراة والإنجيل.
﴿رُّبَمَا﴾	قد تأتي على الكفار أوقات كثيرة. (رُبَّ) كلمة تطلق أحيانًا للتكثير، وأحيانً للتقليل، والمراد هنا التكثير، والمعنى: رب أوقات كثيرة.
﴿يَوَدُّ﴾	يتمنى.
﴿ذَرْهُمْ﴾	اتركهم.
﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾	تشغلهم الأماني الباطلة.
﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾	المراد: أجلٌ معلوم مكتوب في كتاب.
﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾	ما ينزل العذاب والهلاك على أمة قبل ميعاده.
﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾	ولا يتأخر عن موعده كذلك
﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾	لولا آتيتنا (بالملائكة تشهد لك).

MOSTAFAARAFA.COM

﴿مُّنظَرِينَ﴾	مُؤخرين – مؤجلين.
﴿ٱلذِّكۡرَ﴾	القرآن.
﴿لَحَٰفِظُونَ﴾	حافظون له من التبديل والتغيير والتحريف، وحافظون له من الشياطين التي تحاول الزيادة فيه أو النقصان منه.
﴿شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	جماعات الأولين – الأمم المتقدمة.
﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾	ندخله (أي: ندخل التكذيب والكفرو الاستهزاء).
﴿يَعۡرُجُونَ﴾	يصعدون.
﴿سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾	أصابها ما يصيب عين السكران. عميت – سُدَّت – رأت الأمور على غير حقيقتها.
﴿مَّسۡحُورُونَ﴾	سحرنا ساحر.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALAWIY.COM

س: في قوله تعالى: ﴿ رُبَمَا ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: إحدى القراءتين بالتشديد (رُبَّما).

والأخرى بالتخفيف ﴿ رُبَمَا ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله (رُبَمَا) فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين (رُبَمَا) بتخفيف الباء، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة بتشديدها.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بالكتاب هو التوراة والإنجيل، فالكتاب اسم جنس، كما قال تعالى: ﴿﴾، أي: وأنزلنا معهم الكتب.

الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن، وكرر التذكير به لوصفه كما سيأتي. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الوقت الذي يتمنى فيه أهل الكفر أو لو كانوا مُسلمين؟

ج: يتمنون ذلك في مواطن:

أحدها: أنهم يقولون ذلك إذا حضر أحدهم الموت (أي: عند الاحتضار)

MOSTAFAABW.COM

كما قال تعالى: ﴿﴾.

الثاني: أنهم يقولون ذلك إذا رأوا النار ووقفوا عليها كما قال تعالى: ﴿﴾.

الثالث: أنهم يقولون ذلك وهم في النار، قال تعالى: ﴿﴾.

الرابع: أنهم يتمنون إذا اجتمعوا مع عصاة الموحدين في النار فيقولون لعصاة الموحدين بماذا نفعكم إيمانكم فيتفضل الله على عصاة الموحين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة فعندنا يتمنى أهل الكفر لو كانوا في الدنيا مسلمين.

وقد أورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عدة آثار بذلك عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وأورد هو وغيره بعض الأحاديث في هذا المعنى عن رسول الله ﷺ، ولا يثبت من المرفوع شيءٌ عن النبي ﷺ.

أما الموقوفات على الصحابة رضي الله عنهم فقد صح هذا بمجموع طرقه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر ذلك: من كان مسلمًا فليدخل الجنة، قال: فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ). وهذا يصح لشواهده عن ابن عباس.

وأورد الطبري – كما أشرت – آثارًا بنحو المعنى المذكور عن أبي موسى، وابن مسعود، وأنس بن مالك وغيرهم، وفي أسانيدها بعض المقال عنهم.

هذا، وقد أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن حماد، قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال: حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، قال: فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا، فيشفعون، فيخرجون من النار، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم، قال: فعند ذلك يودّ الذين

MostafaAbdo.com

كفروا لو كانوا مسلمين.

وأورد الطبري آثارًا أُخر في هذا الصدد:

قلت (مصطفى): وكلها مواطن يتمنى الكفار فيها لو كانوا مسلمين في الدنيا، ولا يمنع أن يكون هناك مواطن أُخر يتمنون فيها أن لو كانوا مسلمين في الدنيا. والله أعلم.

واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال. أحدها: أنه إِذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القِبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إِسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القِبلة فأُخرجوا فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنُخرَج كما أُخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ (١)، وذهب إِليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإِبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشفِّع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن الكفار إِذا عاينوا القيامة، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالًا من أحوال القيامة يعذَّب فيها الكافر ويَسلم من مكروهها المؤمن، وَدُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري.

والقول الثاني: أنه في الدنيا إِذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلموا مصيرهم، وَدُّوا ذلك، قاله الضحاك.

---

(١) وهذا لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

فإن قيل: إذا قلتم: إن «رُبَّ» للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيدَ تكثيرُ ما يُتواعَد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري:

أحدهن: أن «ربما» تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريَّان، والجَوْن على الأسود والأبيض.

والثاني: أن أهوال القيامة وما يقع بهم من الأهوال تكثُر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، وَدُّوا ذلك.

والثالث: أن هذا الذي خُوِّفوا به، لو كان مما يُوَدُّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف الندم إذا حصل فيه ولا يتيقّنُه، لوجب عليه اجتنابه.

فإن قيل: كيف جاء بعد «ربما» مستقبَل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟

فالجواب: أن ما وَعَدَ اللهُ حَقٌّ، فمستقبَلُه بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١١٦] وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ ٥١]، على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبَّمــا تجــزَعُ النفــوس مــن الأم ... رِ لــه فُرجَــة كَحَــلِّ العِقــالِ

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أي: ويشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا وردوا القيامة وبالَ ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد، وهذه الآية عند المفسرين منسوخه بآية السيف.

MOSTAFALADY.COM

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾.

ج: أما ﴿﴾ فهي حروف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله.

وقيل: إنها سيقت للتحدي، فكأن المعنى الف ولام وراء أحرف تعرفونها تقرؤنها وتكتبونها ولكن لا تستطيعوا أن تأتوا منها ولا بآية فضلًا عن سورة.

أما قوله: ﴿﴾ أي: تلك الآيات الدالة على أحسن المعاني وأجملها وأفضلها هي الآيات التي ذكرها الله ﷻ في كتبه المنزلة، وفي القرآن الذي أنزله، أيضًا موضحًا ومظهرًا لوحدانية الله وقدرته ﷻ.

فقوله: ﴿﴾ على التأويل السابق اسم جنس يطلق على سائر الكتب المنزلة من قبل، والتي من أشهرها وأهمها التوراة والإنجيل، وكونه اسم جنس كما قال تعالى: ﴿﴾ أي: الكتب، فهذا الوجه الأول في تأويل الكتاب.

أما الوجه الثاني في ذلك فالمراد بالكتاب: القرآن، ويكون جمع له بين اسمين، الكتاب، والقرآن، ويكون المعنى: تلك الآيات التي نتلوها آيات الكتاب المنزل عليك، وهو قرآن واضح المعاني والدلالات ومظهر أيضًا لقدرة الله ووحدانيته وأحكامه وشرائعه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: كثيرًا ما سيأتي على الكفار أوقات يتمنون فيها أن لو كانوا أسلموا، وآمنوا في الحياة الدنيا، فمن هذه الأوقات – كما تقدم، وقت الاحتضار، ووقت وقوفهم على النار، وكذا وهم موجودون في النار يعذبون فيها، ويصطرخون فيها وكذا إذا رأوا عصاة الموحدين خرجوا من النار، وإذا

noorlibrary.com

رأوا أصحاب الأعراف قد دخلوا الجنة.

فعند هذه الأوقات يتمنون أن لو كانوا مسلمين.

وفي الآية الكريمة تصبيرٌ لرسول الله ﷺ وتثبيتٌ له، أي: فاصبر يا رسول الله فستأتي أوقات يتمنى أهل الكفر لو أنهم كانوا أسلموا.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فهذا تهديدٌ لأهل الكفر، أي: دعهم يا رسول الله فيما هم فيه من الضلال واللهو واللعب، ذرهم يأكلوا ما شاء من الطعام ويتمتعوا في دنياهم بما شاء وتشغلهم الآمال والطموحات حتى يأتيهم الموت، وعند ذلك سيعلمون من المحق من المبطل، ومن الجرم، ومن المؤمن.

ومن الذي كان على هدى ورشاد، ومن الذي كان على عمًى وضلال.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

أما قوله جلّ ثناؤه: وتقدّست أسماؤه (الر)، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل. وأما قوله: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) فإنه يعني: هذه الآيات، آيات الكتب التي كانت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل (وقُرآنٍ) يقول: وآيات قرآن (مُبِينٍ) يقول: يُبين من تأمله وتدبَّره رشدَه وهداه.

وأورد آحاديث ضعيفة وآثارًا ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتأويل الكلام: ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها، وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم، فسوف يعلمون غدا إذا

MOSTAFAADAWY.COM

وردوا عليه. وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يُعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذّات والشهوات كانوا في خسار وتباب.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: {ذرهم يأكلوا ويتمتعوا} تهديد لهم شديد، ووعيد أكيد، كقوله تعالى: {قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار} [إبراهيم: ٣٠] وقوله: {كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون} [المرسلات: ٤٦] ولهذا قال: {ويلهم الأمل} أي: عن التوبة والإنابة، {فسوف يعلمون} أي: عاقبة أمرهم.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين، وندموا على كفرهم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾، وقوله: ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها﴾، وقوله: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾، إلى غير ذلك من الآيات، وأقوال العلماء في هذه الآية راجعة إلى شيء واحد ؛ لأن من يقول: إن الكافر إذا احتضر وعاين الحقيقة تمنى أنه كان مسلما، ومن يقول: إنه إذا عاين النار ووقف عليها تمنى أنه كان مسلما، ومن يقول: إنهم إذا عاينوا إخراج الموحدين من النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين، كل ذلك راجع إلى أن الكفار إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر وتمنوا أنهم كانوا مسلمين.

nostrabooks.com

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورب في هذا الموضع قال بعض العلماء للتكثير، أي: يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين. ونقل القرطبي هذا القول عن الكوفيين قال ومنه قول الشاعر:

ألا ربما أهدت لك العين

البيت.

وقال بعض العلماء: هي هنا للتقليل ؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب. فإن قيل: ربما لا تدخل إلا على الماضي، فما وجه دخولها على المضارع في هذا الموضع؟ فالجواب: أن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه، كالواقع بالفعل، ونظيره قوله تعالى ﴿أتى أمر الله﴾ الآية، ونحوها من الآيات، فعبر بالماضي تنزيلا لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل.

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾.

هدد الله تعالى الكفار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يتركهم يأكلون ويتمتعون، فسوف يعلمون حقيقة ما يئول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم. وهددهم هذا النوع من التهديد في مواضع أخر كقوله: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾، وقوله: ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾، وقوله: ﴿قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾، وقوله: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾، وقوله: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ إلى غير

MOSTAFAADAWY.COM

ذلك من الآيات.

وقد تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد، كما في الآية المذكورة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ذرهم﴾ يعني اتركهم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، جُمع له بين الاسمين.

والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والقرآن: كتابُنا.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم المنان):

يقول تعالى معظما لكتابه مادحا له {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني وأفضل المطالب، {وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه، والتسليم لحكمه وتلقيه بالقبول والفرح والسرور.

فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه وذلك حين ينكشف الغطاء وتظهر أوائل الآخرة ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإمكان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون.

فـ {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا} بلذاتهم {وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ} أي: يؤملون البقاء في الدنيا فيلهيهم عن الآخرة، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} أن ما هم عليه باطل وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ولا يغتروا بإمهال الله تعالى فإن هذه سنته في

الأمم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: وما عذَّبنا قرية ولا أمتنا أهلها إلا عند انقضاء آجالها التي سُطِّرت لها في كتاب، فلكل أمة أجلٌ معلوم مثبت في كتاب عند الله ﷻ إذا بلغته أهلكها الله بإنزال عذابه عليها أو بإماتة أهلها.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ []. أي: لا يتقدم العذاب الآية أمة من الأمم إلى عند الأجل الذي حددناه لها.

وكذلك إذا جاء هذا الأجل فلا تستأخر عنه هذه الأمة.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَهْلَكْنَا) يا محمد (مِنْ) أهل (قَرْيَةٍ) من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى (إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) يقول: إلا ولها أجل مؤقَّت ومدة معروفة، لا نهلكهم حتى يبلغوها، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك، فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة، لا نهلك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله، لأن مِنْ قضائي أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله.

ويقول تعالى ذكره: ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFALADY.COM

يقول تعالى: إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها، وإنه لا يؤخر أمة حان هلاكها (١١) عن ميقاتها ولا يتقدمون عن مدتهم. وهذا تنبيه لأهل مكة، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد، الذي يستحقون به الهلاك.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ أي: ما عذَّبنا من أهل قرية ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي أجَل مؤقَّت لا يُتقدم ولا يُتأخر عنه. ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «من» صِلة، والمعنى: ما تتقدم وقتها الذي قدِّر لها بلوغه، ولا تستأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: «أَجَلها» لأن الأمَّة لفظُها مؤنث، وإنما قال: «يستأخرون» إخراجًا له على معنى الرجال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن أهل الكفر قالوا لرسول الله ﷺ: ساخرين مستهزئين يا من يزعم أنه نُزِّل عليه القرآن من عند الله، إنك لمجنون فيما تقول وتزعم، قد أصابك خبلٌ فجعل تقول الذي قلت، وإن كنت صادقًا في قيلك فهلا أتيتنا بالملائكة تشهد لك أن الله ﷻ ارسلك فقال تعالى مجيبًا على إيرادهم هذا بقوله: ﴿﴾، ما ننزل الملائكة إلا بالوحي، وكذا بالعذاب وقبض الأرواح، فلأنهم لا يوحي إليهم فالملائكة إذا تنزلت عليهم تتنزل عليهم بالعذاب، كما قال تعالى: ﴿﴾، وكما قال تعالى: ﴿﴾ أي: ثم لا يؤخرون ولا

يمهلون.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد (يَا أَيُّهَا الَّذِي نزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) في دعائك إيانا إلى أن نتَّبعك، ونذر آلهتنا (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ) قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟ (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يعني: إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا، فإن الربّ الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوّتك، وصدق مقالتك: والعرب تضع موضع لوما: لولا وموضع لولا لوما، من ذلك قول ابن مقبل:

لَوْمَا الحَيَاءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكما ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي

يريد: لولا الحياء.

وأورد الطبري وجوهًا من القراءات في قوله تعالى: ﴿ننزل﴾.

وقال:

ما ننزل ملائكتنا إلا بالحقّ، يعني بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFALADAWY.COM

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم وعنادهم في قولهم: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر} أي: الذي يدعي ذلك {إنك لمجنون} أي: في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا. {لو ما} أي: هلا {تأتينا بالملائكة} أي: يشهدون لك بصحة ما جئت به {إن كنت من الصادقين} كما قال فرعون: {فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين} [الزخرف: ٥٣] {وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا} [الفرقان: ٢١، ٢٢]

وكذا قال في هذه الآية: {ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين}.

وقال مجاهد في قوله: {ما ننزل الملائكة إلا بالحق} بالرسالة والعذاب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قاله كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم على وجهة الاستهزاء، ثم طلبوا منه إتيان الملائكة دلالة على صدقه. و (لو ما) تحضيض على الفعل كلولا وهلا. وقال الفراء: الميم في" لو ما" بدل من اللام في لولا. ومثله استولى على الشيء واستومى عليه.

...ثم قال:

" إلا بالحق" إلا بالقرآن. وقيل: بالرسالة، عن مجاهد. وقال الحسن: إلا بالعذاب إن لم يؤمنوا." (وما كانوا إذا منظرين) " أي لو تنزلت الملائكة بإهلاكهم لما أمهلوا ولا قبلت لهم توبة. وقيل: المعنى لو تنزلت الملائكة تشهد لك فكفروا بعد ذلك لم ينظروا. وأصل" إذا" إذ أن- ومعناه حينئذ-

MOSTAFAADAWY.COM

فضم إليها أن، واستثقلوا الهمزة فحذفوها.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي المراد بالحق أربعة أقوال:

أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن.

والثاني: الرسالة، قاله مجاهد.

والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب.

والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ يعني: المشركين ﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ قد يقال في هذه الآية الكريمة: كيف يقرون بأنه أنزل إليه الذكر وينسبونه للجنون مع ذلك؟ والجواب أن قولهم: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعنون في زعمه تهكما منهم به، ويوضح هذا المعنى ورود مثله من الكفار متهكمين بالرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - في مواضع أخر، كقوله تعالى عن فرعون مع موسى قال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

وقوله عن قوم شعيب ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾.

قوله تعالى ﴿لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾. لو ما في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو طلب الفعل طلبا حثيثا. ومعنى الآية: أن الكفار طلبوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - طلب تخصيص أن يأتيهم بالملائكة ليكون إتيان الملائكة معه دليلا على صدقه أنه رسول الله - صلى

MostafaAdw.com

الله عليه وسلم - وبين طلب الكفار هذا في آيات أخر كقوله عن فرعون مع موسى: ﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ وقوله: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾ ، وقوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ الآية، وقوله: ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا﴾، وقوله: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: وقال المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم استهزاء وسخرية: {يَا أَيُّهَا الَّذِي نزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ} على زعمك {إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} إذ تظن أنا سنتبعك ونترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد قولك.

{لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ} يشهدون لك بصحة ما جئت به {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فلما لم تأت بالملائكة فلست بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل.

أما الظلم فظاهر فإن هذا تجرؤ على الله وتعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها وحصل المقصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة، خير لهم بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقد له.

{وَمَا كَانُوا إِذًا} أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا بـ {مُنْظَرِينَ} أي: بمهملين، فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم وإنما هو بيد الله، {ولو أننا نزلنا

MOSTAFAADAWY.COM

إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون} ويكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

ج: يُخبر الله جل ذِكره أنه تباركوتعالى هو الذي نزل القرآن على رسوله ﷺ، وأخبر الله ﷻ أنه حافظ لهذا القرآن، حافظ له من التبديل والتغيير والتحريف، حافظ له من الزيادة والنقصان، وحافظ له من الشيطان، قال تعالى: ﴿﴾ أي: لا يأتيه الشيطان بزيادة ولا يستطيع إنقاص شيء منه لا عند نزوله ولا بعد نزوله، وكذا شياطين الإنس وعموم شياطين الجن.

ولقد قال تعالى: ﴿﴾.

وقال تعالى: ﴿﴾ أي: ملائكة يحرسونه ويرصدونه عند نزوله حتى لا يُدخل الشيطان فيه شيئًا ولا ينقص منه شيئًا.

هذا، وثمَّ قول ضعيف في تفسير الآية، جعل قائله الضمير في قوله: ﴿﴾ عائدًا على رسول الله ﷺ، أي: وإنا لرسولنا حافظون، لكن هذا المعنى لا يتحمله السياق، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (لَهُ) من ذكر الذكر.

MOSTAFALABIB.COM

وأورد بسندٍ حسن رَحِمَهُ اللَّهُ[1] عن قتادة، قوله: (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ، قال في آية أخرى (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ) والباطل: إبليس (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا، حفظه الله من ذلك.

وأورد الطبري وجهًا أراه ضعيفًا في تفسير الآية حيث قال: وقيل: الهاء في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى: {له لحافظون} على النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: {والله يعصمك من الناس} [المائدة: ٦٧] والمعنى الأول أولى، وهو ظاهر السياق.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ} أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله

(١) وله طريق آخر عن قتادة يصحح به، ولفظه: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلًا أو ينقص منه حقًّا.

من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله إلى الأمم المتقدمة، والجماعات المتقدمة، كقوم عاد وثمود وكقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع وقوم فرعون وغيرهم، فالشيع هي الأمم والجماعات، وكل هذه الأمم كذبت رسلها فما يأتي أمةً من رسول إلا سخروا منه واستهزأوا به، فهكذا يصنعون وكالذي صنعاه بالكفار المتقدمين نصنعه بهؤلاء المشركين من القرشيين وغيرهم من الذي أُرسلت إليهم فكذبوك فكما أدخلنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل، كما أدخلنا ذلك قلوب الكفار الأولين فكفروا وكذبوا واستهزؤا كذلك ندخل التكذب والاستهزاء والكفر في قلوب هؤلاء الذين دعوتهم إلى الله فخالفوك، ندخله في قلوب هؤلاء الذين اجترموا الشرك والكفر، فلا يؤمنون بما جئتهم به من عند الله ﷻ، وقد مضت سنة الأولين وطريقتهم في ذلك، فإنهم كذبوا الرسل وجحدوا وحدانية ربهم ﷻ، ومهما أتيناهم من معجزات وآيات ودلالات على قدرتنا ووحدانيتنا فإنهم لن يؤمنوا، وقد أدخلنا التكذيب في قلوبهم، حتى لو فتحنا عليهم بابًا من السماء فصعدت الملائكة الذين طلب أهل الشرك رؤيتهم عيانًا وطلبوا أن تأتيهم بالملائكة يشهدون لك بصدقك، فلو فتحنا

أبواب السماء فصعدت الملائكة فيه على درجٍ درجة درجة، ورآهم الكفار ما صدَّق الكفار ذلك بل لقالوا إنما سكِّرت أبصارنا أصابها ما أصابها بسبب الخمر الذي شربناه فسكرنا فلم نعد نرى الأمور على حقيقتها، بل لقد سُحرنا فنحن قدم سحرنا ساحرٌ ولا نستطيع أن نحكم على الأشياء التي نراها بالصحة أثناء سحرنا وسكرنا، فقوم يقولون: إذا رأوا الملائكة تصعد أمامهم نحن شربنا خمرًا فسكرنا، وآخرون يقولون: بل سحرنا ساحرٌ فنحن مسحورون.

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿﴾ عائدٌ على الكفار، فالمعنى: ولو فتحنا للكفار بابًا في السماء فصعدوا إلى السماء وارتفوا شيئًا فشيئًا لقال فريق منهم إنما سكرت أبصارنا، ولقال فريق آخر بل نحن قوم مسحورون.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأوّلين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) عليه، وعنى بشيع الأوّلين: أمم الأوّلين: واحدتها شيعة، ويقال أيضا لأولياء الرجل: شيعته.

وقوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول: وما يأتي شيع الأوّلين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده، والإذعان بطاعته،إلا كانوا به يستهزءون: يقول: إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتُوّا منهم وتمرّدا على ربهم.

MOSTAFALADAWY.COM

ويقول تعالى ذكره: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين بالاستهزاء بالرسل، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول: لا يصدّقون بالذكر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله (نَسْلُكُهُ) من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم.

وقوله: (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره: لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب (حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ) أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الأمم التي كذّبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حلّ بها سخط الله فهلكت.

وقال في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)}.

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله: (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فقال بعضهم: معنى الكلام: ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ).

وقال آخرون: إنما عُني بذلك: بنو آدم.

ومعنى الكلام عندهم: ولو فتحنا على هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا).

وأما قوله (يَعْرُجُونَ) فإن معناه: يرقَوْن فيه ويَصْعَدون، يقال منه: عرج يعرُج عُروجا إذا رَقَى وصَعَد، وواحدة المعارج: معرج ومعراج، ومنه قول كثير:

Nosrataldawy.com

إلـى حَسَـبٍ عَـوْدٍ بَنـا الْمـرءَ قبْلَـهُ أَبُـوهُ لَـهُ فِيـه مَعـارِجَ سُـلَّمِ

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالًا في تفسير قولهم: ﴿﴾ منها: سُدَّت، ومنها أُخذت، ومنها: عميت، ومنها: أنه مأخوذٌ من السُّكر، ومعناه غُشي على أبصارنا فلا نبصر، كما يفعل السّكرُ بصاحبه فذلك إذا دير به وغُشي بصره كالسمادير فلا يبصر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدّ إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحارّ إذا ذهبت فورته، وسكن حدّ حرّه، قد سكر يسكر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى:" كذلك نسلكه" أي الضلال والكفر والاستهزاء والشرك." في قلوب المجرمين" من قومك، عن الحسن وقتادة وغيرهما. أي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم.

... ثم قال:

(وقد خلت سنة الأولين) أي مضت سنة الله بإهلاك الكفار، فما أقرب هؤلاء من الهلاك. وقيل:" خلت سنة الأولين" بمثل ما فعل هؤلاء من التكذيب والكفر، فهم يقتدون بأولئك.

وقال القرطبي أيضًا:

يقال: ظل يفعل كذا، أي يفعله بالنهار. والمصدر الظلول. أي لو أجيبوا

MOSTAFALADAWY.COM

إلى ما اقترحوا من الآيات لأصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات، كما قالوا للقرآن المعجز: إنه سحر." يعرجون" من عرج يعرج أي صعد. والمعارج المصاعد. أي لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر، عن الحسن وغيره. وقيل: الضمير في" عليهم" للمشركين. وفي" فظلوا" للملائكة، تذهب وتجيء أي لو كشف لهؤلاء حتى يعاينوا أبوابا في السماء تصعد فيها الملائكة وتنزل لقالوا: رأينا بأبصارنا ما لا حقيقة له، عن ابن عباس وقتادة. ومعنى (سكرت) سدت بالسحر، قاله ابن عباس والضحاك. وقال الحسن: سحرت. الكلبي: أغشيت أبصارنا، وعنه أيضا عميت. قتادة: أخذت. وقال المؤرج: دير بنا، من الدوران، أي صارت أبصارنا سكرى. جويبر: خدعت.

وأورد القرطبي أقوالًا في تفسير قولهم: (سكرت) ثم قال:

وهذه الأقوال متقاربة. والأصل فيها ما قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى، قال: هو من السكر في الشراب. وهذا قول حسن، أي غشيهم ما غطى أبصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله. وسكور الريح سكونها وفتورها، فهو يرجع إلى معنى التحيير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من كفار قريش: إنه أرسل من قبله في الأمم الماضية، وإنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به.

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى.

قال أنس، والحسن البصري: {كذلك نسلكه في قلوب المجرمين} يعني:

Mostafa Abdo.com

الشرك.

وقوله: {وقد خلت سنة الأولين} أي: قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار، وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة.

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق: أنه لو فتح لهم بابا من السماء، فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، بل قالوا: {سكرت أبصارنا}

قال مجاهد وابن كثير، والضحاك: سدت أبصارنا.

وقال قتادة، عن ابن عباس: أخذت أبصارنا.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: رسلًا، فحُذف المفعولُ، لدلالة الإرسال عليه. والشِّيَع: الفِرَق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة. الأمَّة المتابعة بعضها بعضًا فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إنَّ كل نبيٍّ قبلك كان مبتلىً بقومه كما ابتُليتَ.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الشِّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة.

والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء.

MOSTAFAABIY.COM

ومعنى الآية: كما سلكنا في قلوب شِيَع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيبَ فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

وفي المشار إليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الرسول.

والثاني: القرآن.

والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مضت سُنَّة الله في إهلاك المكذِّبين.

والثاني: مضت سُنَّتهم بتكذيب الأنبياء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ} أي: فرقهم وجماعتهم رسلا.

{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ} يدعوهم إلى الحق والهدى {إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ} أي: ندخل التكذيب {فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} أي: الذين وصفهم لظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان ولهذا قال:

ARCHIVE.COM

{لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله. أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ} فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية:

{إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} أي: أصابها سكر وغشاوة حتى رأينا ما لم نر، {بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء

❁❁❁

MOSTAFAALSAWY.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ
شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ
مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا
نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ
ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ١٦-٢٥].

MOSTAFAALDAW.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بُرُوجًا - وَزَيَّنَّاهَا - رَّجِيمٍ - ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ - شِهَابٌ مُّبِينٌ - مَدَدْنَاهَا - رَوَاسِيَ - مَّوْزُونٍ - مَعَٰيِشَ - وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ - وَإِن مِّن شَيْءٍ - بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ - لَوَٰقِحَ - فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ - بِخَٰزِنِينَ - ٱلْوَٰرِثُونَ - ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ - ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ - يَحْشُرُهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بُرُوجًا﴾	كواكب عظيمة - قصورًا.
﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾	حسَّناها.
﴿رَّجِيمٍ﴾	مرجوم.
﴿ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾	تصنت على الملائكة فاستمع بعض حديثهم وسرقه كي يلقيه على من بعده من الجن لإلقائه على ألسنة الكهنة والسحرة.
﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾	شعلة من نار، قبس من نار منفصل عن الكوكب والنجم.
﴿مَدَدْنَاهَا﴾	بسطناها.
﴿رَوَاسِيَ﴾	جبالًا راسيات.
﴿مَّوْزُونٍ﴾	مقدرٌ معلوم.
﴿مَعَٰيِشَ﴾	ما تقوم به معيشتكم من أكل وشرب ومركب ومسكن ونحو ذلك.

Nostrapdf.com

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾	من ليس رزقه عليكم (الوحوش والدواب والأنعام والعبيد).
﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾	ما من شيء.
﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	بحجم معلوم وكمية معلومة على قدر الحاجة والنفع.
﴿لَوَٰقِحَ﴾	مُلقِّحة، وقيل: هي المُلحَقَّة. فالأول (بكسر القاف مع التشديد) أي: تلقح السحب والأشجار والثاني: محملة بالماء.
﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾	فجعلناه سقيا لكم ولدوابكم.
﴿بِخَٰزِنِينَ﴾	بما نعين (من إنزاله على من نشاء).
﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾	الذين نرث الأرض ومن عليها بعد موتكم.
﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾	الأمم المتقدمة الهالكة.
﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾	الأمم الموجودة والتي لم تأت بعد.

MOSTAFALAW.COM

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد جعلنا في السماء كواكب عظيمةً ونجومًا كبارًا، وقصورًا كذلك، وحسّناها (أي: السماء) لمن ينظر إليها، كما قال تعالى: ﴿﴾.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان رجيم، أي: منعناها من اقتراب الشياطين، منعنا الشياطين من الاقتراب منها، ومن التسمع والتصنت على ما فيها من أخبار.

لكن الشيطان الذي يحاول استراق السمع، أي: يحاول أن يتجسس ويتصنت ويتسمع لما تتحدث به الملائكة في السماء الدنيا، ويسرق كلمة من الكلمات التي لا تتحدث بها الملائكة، فيخطفها كي يلقيها على من بعده من مسترقي السمع من أمثاله.

فمسترقو السمع بعضهم فوق بعض – فهذا يتبعه شهاب، قبس من نار، وشعلة من نار منفصلة عن الكوكب فتحرقه، وقد ذكر هذا بتفصيل في سورتي سبأ والجن.

ثم هذه أقوال بعض العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) يقول: وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها.

MOSTAFAADEL.COM

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كلّ شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه (إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه، إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه.

وأورد الطبري من طريق عبد الواحد بن زياد[1]، قال: ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع، قال: فينفرد المارد منها فيعلو، فيرمى بالشهاب، فيصيب جبهته أو جنبه، أو حيث شاء الله منه، فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب، فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا، قال: فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب، فيخبرونهم به، فإذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدّقوهم بما جاءوهم به من الكذب.

وبسندٍ حسن عن قتادة قوله: (إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) وهو نحو قوله (إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) [الصافات: ١٠].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه جعل في السماء بروجا، وذكر هذا أيضا في مواضع أخر كقوله: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا [٢٥\٦١] وقوله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج الآية [٨٥\١]، والبروج: جمع برج.

واختلف العلماء في المراد بالبروج في الآيات المذكورة، فقال بعضهم:

---

(١) ورواية عبد الواحد عن الأعمش فيها مقال، خاصة فيما يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

MOSTAFADEV.COM

البروج: الكواكب، وممن روي عنه هذا القول مجاهد وقتادة. وعن أبي صالح: أنها الكواكب العظام، وقيل: هي قصور في السماء عليها الحرس. وممن قال به عطية، وقيل: هي منازل الشمس والقمر، قاله ابن عباس. وأسماء هذه البروج: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

قال مقيده - عفا الله عنه -: أطلق تعالى في ((سورة النساء)) البروج على القصور الحصينة في قوله: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة [٤ \ ٧٨] ومرجع الأقوال كلها إلى شيء واحد. لأن أصل البروج في اللغة الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها، فالكواكب ظاهرة، والقصور ظاهرة، ومنازل القمر والشمس كالقصور، بجامع أن الكل محل ينزل فيه، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وزيناها للناظرين. صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه زين السماء للناظرين، وبين في مواضع أخر أنه زينها بالنجوم، وأنها السماء الدنيا كقوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية [٦٧ \ ٥]، وقوله: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب [٣٧ \ ٦].

قوله تعالى: وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين. صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه حفظ السماء من كل شيطان رجيم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾، وقوله: ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾، وقوله: ﴿فمن يستمع

MOSTAFALABIB.COM

الآن يجد له شهابا رصدا﴾، وقوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾، وقوله: ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

والاستثناء في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾، قال بعض العلماء: هو استثناء منقطع، وجزم به الفخر الرازي، أي لكن من استرق السمع أي الخطفة اليسيرة، فإنه يتبعه شهاب فيحرقه كقوله تعالى: ﴿ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾، وقيل: الاستثناء متصل، أي حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئا من الوحي وغيره، إلا من استرق السمع، فإنا لم نحفظها من أن تسمع لخبر من أخبار السماء سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئا ؛ لقوله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ قاله القرطبي، ونظيره ﴿إلا من خطف﴾ الآية فإنه استثناء من الواو في قوله تعالى: ﴿لا يسمعون إلى الملإ﴾ الآية .

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر الآيات الدالات على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} .

يقول تعالى -مبينا كمال اقتداره ورحمته بخلقه-: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} أي: نجوما كالأبراج والأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات

البر والبحر، {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها.

{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها مجملا بالنجوم النيرات وباطنها محروسا ممنوعا من الآفات.

{إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ} أي: في بعض الأوقات قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} أي: بين منير يقتله أو يخبله. فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه فينقطع خبر السماء عن الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضمُّها ويكذب معها مائة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم: مزيدُ بيان لنعم الله ﷻ على عباده، فبعد أن بين لهم آياته الدالة على قدرته في السماء، والدالة على وحدانيته، بيَّن لهم آياته في الأرض كي يشكروه على نعمه، ويستدلوا على وحدانيته، فقال تعالى: ﴿﴾ أي: بسطناها، وألقينا فيها جبالًا راسيات لئلا تميل بنا الأرض كما قال تعالى: ﴿﴾.

وأنبتنا في الأرض من كل شيء مقدر معلوم، وجعلنا لكم في الأرض معايش، أي: ما تتعيشون به من المطاعم والمشارب والملابس وأسباب

المعيشة عمومًا.

أما قوله: ومن لستم له برازقين ففيها وجوه:

أحدها: وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين، أي: وجعلنا لكم فيها الدواب والأنعام لخدمتكم وكذا جعلنا فيها العبيد لخدمتكم، وهذه الأشياء التي جعلناها في الأرض لخدمتكم في معيشتكم ليس عليكم رزقها، بل رزقها على الله ﷻ.

الثاني: وجعلنا لمن لستم له برازقين معايش أيضًا أي: وجعلنا للوحوش التي لا ترزقونها أنتم معايش فرزق الوحش على الله.

وقال بعض العلماء: وجعلنا للدواب والأنعام والعبيد معايش أيضًا، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) والأرض دحوناها فبسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول: وألقينا في ظهورها رَوَاسِيَ، يعني جبالا ثابتة.

و قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) رواسيها: جبالها، وقد بيّنا معنى الرسوّ فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته. وقوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول: وأنبتنا في الأرض من كلّ شيء: يقول: من كلّ شيء مقدّر، وبحدّ معلوم.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك وأنبتنا في الجبال من كلّ شيء موزون: يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التي توزن.

وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأوّل لإجماع الحجة من أهل

التأويل عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)}.

يقول تعالى ذكره: (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) أيها الناس في الأرض (مَعَايِشَ)، وهي جمع معيشة (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ).

اختلف أهل التأويل في المعني في قوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) فقال بعضهم: عني به الدوابّ والأنعام.

وقال آخرون: عني بذلك: الوحش خاصة.

وأورد بإسناد صحيح عن منصور قال: (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) الوحش.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتأويل «مَنْ» في: (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) على هذا التأويل بمعنى ما، وذلك قليل في كلام العرب.

وأولى ذلك بالصواب، وأحسن أن يقال: عني بقوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والإماء والدوابّ والأنعام. فمعنى ذلك: وجعلنا لكم فيها معايش. والعبيدَ والإماء والدوابَّ والأنعام، وإذا كان ذلك كذلك، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدوابّ "من"، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم. وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا إليه معنى الكلام إذا كانت "من" في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى: جعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين. وقيل: إنّ "من" في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم في قوله (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) بمعنى: وجعلنا لكم فيها معايش (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)

Mostafadiw.com

وأحسب أن منصورا في قوله: هو الوحش قصد هذا المعنى وإياه أراد، وذلك وإن كان له وجه في كلام العرب، فبعيد قليل، لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض، وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة، كما قال بعضهم:

هَلا سألْتَ بذِي الجَماجِمِ عنهُمُ وأبي نَعِيمٍ ذي اللِّوَاءِ المُخْرَقِ

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم، وقد بيَّنت قبح ذلك في كلامهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم ذكر، تعالى، خلقه الأرض، ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

وأورد أقوال العلماء في قوله: ﴿ ﴾:

منها: معلوم، ومنها مقدرٌ بقدر، ومنها: ما يزن أهل الأسواق.

وقال:

وقوله: {وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين} يذكر، تعالى، أنه صرفهم في الأرض في صنوف [من] (١٠) الأسباب والمعايش، وهي جمع معيشة.

وقوله: {ومن لستم له برازقين} قال مجاهد: وهي الدواب والأنعام.

وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام.

والقصد أنه، تعالى، يمتن (١١) عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزقهم على

MOSTAFALABIB.COM

خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه الدواب والأنعام، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الوحوش، رواه منصور عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: الوحش، والطير، والسباع، وأشباه ذلك مما لا يرزقه ابن آدم.

والثالث: العبيد والإماء، قاله الفراء.

والرابع: العبيد، والأنعام، والدواب، قاله الزجاج. قال الفراء: و «مَنْ» في موضع نصب، فالمعنى: جعلنا لكم فيها المعايش، والعبيد، والإماء. ويقال: إنها في موضع خفض، فالمعنى: جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين.

وقال الزجاج: المعنى: جعلنا لكم الدواب، والعبيد، وكُفيتم مؤونة أرزاقها.

فإن قيل: كيف قلتم: إن «مَنْ» هاهنا للوحوش والدواب، وإنما تكون لمن يعقل؟ فالجواب: أنه لما وُصفت الوحوش وغيرها بالمعاش الذي الغالب عليه أن يوصَف به الناسُ، فيقال: للآدمي معاش، ولا يقال: للفرس معاش، جرت مجرى الناس، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل ١٨]، وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ٤]، وقال: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وإن قلنا: أُريدَ به العبيد، والوحوش، فإنه إذا اجتمع الناس وغيرهم، غُلِّب الناس على غيرهم، لفضيلة العقل والتمييز.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFALABIB.COM

{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها.

{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد وتثبتها أن تزول {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات.

{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} من الحرث ومن الماشية ومن أنواع المكاسب والحرف. {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام لنفعكم ومصالحكم وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما من شيء من الأشياء إلا وعند الله خزائنه ولكن ما ينزله الله ﷻ إلى الأرض إلا بقدر معلوم، على قدر الحاجة وعلى قدر النفع، فيدخل في ذلك المطر كما يدخل في ذلك غيره، كما قال تعالى: ﴿﴾ فخزائن المطر عند الله، وخزائن الرزق عند الله، وخزائن العلم عند الله، وخزائن الذرية عند الله، وخزائن كل شيء عند الله.

والآية كقوله: ﴿﴾.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمعنى لواقح قيل: مُلَقَّحة، وقيل: مُلَقِّحة.

فكونها مُلَقَّحة، أي: مُحملة بالسحاب كما قال تعالى: ﴿﴾.

mostafawy.com

أما كونها مُلقِّحة، أي: تُلقِّح غيرها، قيل: تلقح السحاب بماءٍ تُدخله فيه فتُجريه فيكون منه المطر.

وقيل: تُلقح الأشجار والنباتات بما تحمله من حبوب لقاح من شجرة ذكر إلى أنثى.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فجعلنا سقيا لكم وشرابًا لكم، ﴿﴾ أي: وما أنتم له بمانعين من النزول، وقيل: وما أنتم له بحافظين في العيون والآبار، فربنا إذا شاء جعل الماء غورًا، كما قال: ﴿﴾ وقيل: وما أنتم له بمانعين من أنز له على من شئت، من عبادي وعموم خلقي.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه.

وقال بعد أن أورد أقوالًا في تفسير ﴿﴾: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قيس بن سكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر.

وفي رواية من طريق عن قيس بن سكن أيضًا، عن عبد الله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: يبعث الله الريح فتلقح السحاب، ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة،

Nosrah.com

ثم تمطر.

وفي ثالثة عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الرياح، فتحمل الماء من السحاب، ثم تمري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة، فقد بين عبد الله بقوله: يرسل الرياح فتحمل الماء، أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر.

قال الطبري:

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل، فإنهم وجَّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح، إلى أنه بمعنى ملقحة، وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح.

وأورد بسندٍ صحيح عن إبراهيم في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: تلقح السحاب.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن، قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال: لواقح للشجر، قلت: أو للسحاب، قال: وللسحاب، تمريه حتى يمطر.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) يقول: لواقح السحاب، وإن من الريح عذابا، وإن منها رحمة.

وقوله (فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) يقول تعالى ذكره: فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم.

وقوله (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه. فتمنعوه من أسقيه، لأن ذلك بيدي وإليّ، أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

nostrapdf.com

يخبر، تعالى، أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن (١٣) عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، {وما ننزله إلا بقدر معلوم} كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لا على [وجه] (١) الوجوب، بل هو كتب على نفسه الرحمة.

وقال:

وقوله: {وأرسلنا الرياح لواقح} أي: تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها.

هذه "الرياح" ذكرها بصيغة الجمع، ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا من (١٣) شيئين فصاعدا.

وقوله: {فأسقيناكموه} أي: أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه، ولو نشاء لجعلناه أجاجا. كما ينبه الله (٦) على ذلك في الآية الأخرى في سورة "الواقعة"، وهو (٧) قوله: {أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون} [الواقعة: ٦٨-٧٠] وفي قوله: {هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون} [النمل: ١٠]

وقوله: {وما أنتم له بخازنين} قال سفيان الثوري: بمانعين.

ويحتمل أن المراد: وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم، ونجعله معينا وينابيع (٨) في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك. ليبقى لهم في طول السنة، يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

MostafaAdawy.com

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي وإن من شي من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه، يعني المطر المنزل من السماء، لأن به نبات كل شي. قال الحسن: المطر خزائن كل شي. وقيل: الخزائن المفاتيح، أي في السماء مفاتيح الأرزاق، قاله الكلبي. والمعنى واحد. (وما ننزله إلا بقدر معلوم) أي ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه، كما قال:" ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء «٤» ".

وقال القرطبي أيضًا:

والإنزال بمعنى الإنشاء والإيجاد، كقوله:" وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج «١» " وقوله:" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد «٢» ". وقيل: الإنزال بمعنى الإعطاء، وسماه إنزالا لأن أحكام الله إنما تنزل من السماء.

وقال:

قوله تعالى: (فأنزلنا من السماء) أي من السحاب. وكل ما علاك فأظلك يسمى سماء. وقيل: من جهة السماء. (ماء) أي قطرا. (فأسقيناكموه) أي جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم. وقيل: سقى وأسقى بمعنى. وقيل بالفرق، وقد تقدم «٣» . (وما أنتم له بخازنين) أي ليست خزائنه عندكم، أي نحن الخازنون لهذا الماء ننزله إذا شئنا ونمسكه إذا شئنا. ومثله" وأنزلنا من السماء ماء طهورا «٤» "،" وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون" «٥» . وقال سفيان: لستم بمانعين المطر.

mostafabdw.com

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ وهذا الكلام عامّ في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حُكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لايزيد ولا ينقص، فما من عام أكثرُ مطرًا من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾.

فيه للعلماء وجهان من التفسير كلاهما يشهد له قرآن الأول: أن معنى ﴿وما أنتم له بخازنين﴾، أي ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له، ننزله متى شئنا، وهذا الوجه تدل عليه آيات كقوله ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾، وقوله: ﴿ولله خزائن السماوات والأرض ﴾الآية، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن معنى ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ بعد أن أنزلناه عليكم، أي لا تقدرون على حفظه في الآبار والعيون والغدران، بل نحن الحافظون له فيها، ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾، وقوله: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾، وقوله: ﴿أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾، وقوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

Mostafa.com

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، {وَمَا نُنزِلُهُ} أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، {إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه.

أي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه ينابيع في الأرض رحمة بكم وإحسانا إليكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: هذا - والله أعلم -: مفاده أن الله سبحانه وتعالى يُخبر بأنه هو الذي يحيي ويميت، يحيي من أراد له الحياة، وكذا يخرج الأجنة من بطون الأمهات أحياء، وكذلك فإنه ﷻ يُميت من أراد إماتته، وهو سبحانه الذي يرث الأرض ومن عليها..

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: الذين ماتوا ومضوا وهلكوا، وكذا ولقد علمنا المستأخرين الذين لا زالوا أحياء، وكذا الذين يأتون من بعد.

ولقد تعددت أقوال العلماء في تفسير المستقدمين والمستأخرين، وعلى أية حال، فرب العزة سبحانه وتعالى يعلم كلَّ مستقدم ومستأخر، ولكن القول

Mostafa-Adly.com

الذي قدمته أولى بالقبول، وذلك لقوله تعالى: ﴿﴾ أي: يوم القيامة، يجمعهم ليوم القيامة، كما في الحديث: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد..**»

أما قوله: ﴿﴾ أي فيما يشرع وفيما يقضي ﴿﴾ بكل شيء جليل أو حقير، صغيرٍ أو كبير.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي) من كان ميتا إذا أردنا (ونُمِيتُ) من كان حيا إذا شئنا (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) يقول: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم، فلا يبقى حيّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل. وقوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولقد علمنا من مضى من الأمم، فتقدّم هلاكهم، ومن قد خلق وهو حيّ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق.

وأورد من طرق صحيحة عن عكرمة: (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال: هم خلق الله كلهم، قد علم من خلق منهم إلى اليوم، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم.

وعن عكرمة، قال: إن الله خلق الخلق ففرغ منهم، فالمستقدمون: من خرج من الخلق، والمستأخرون: من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج.

وقال آخرون: عنى بالمستقدمين: الذين قد هلكوا، والمستأخرين: الأحياء الذين لم يهلكوا.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم.

وأورد بإسناد صحيح عن الشعبيّ، في قوله: (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ

MOSTAFAABDO.COM

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : ما استقدم في أول الخلق، وما استأخر في آخر الخلق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علمنا المستقدمين من الأمم، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وأورد بأسانيد تصح عن مجاهد، في قوله: (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال: المستقدمون: ما مضى من الأمم، والمستأخرون: أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير، والمستأخرين عنه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة، والمستأخرين فيها بسبب النساء.

وأخرج الطبري من طريق نوح بن قيس، قال: ثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة، قال ابن عباس: لا والله ما إن رأيت مثلها قط، فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا، وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا، نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) .

وأخرج الطبري من طريق جعفر بن سليمان، قال: أخبرني عمرو بن مالك، قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين.

Mostafa4dawy.com

قلت: فمفاده أنه روى نحوه عن أبي الجوزاء من قوله، ومرة عن أبي الجوزاء عن ابن عباس بالقصة، وسبب النزول.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لهذا الحديث: وقد ورد في هذا حديث غريب جدًّا... -فذكره، وذكر عددًا ممن أخرجوه- وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، وقد رواه عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك وهو النكري (٨) أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله: {ولقد علمنا المستقدمين منكم} في الصفوف في الصلاة {والمستأخرين} فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر (٩) وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس (١٠) والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) وما بعده وهو قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه، ولا جاء بعد. وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصفّ لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حيّ منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم،

Nosiralabwy.com

فنجازي كلا بأعماله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا. فيكون ذلك تهديدًا ووعيدًا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكلّ من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعدا لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأوّلين والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكلّ أحد من خلقه، المستقدمين منهم والمستأخرين.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال: أي الأوّل والآخر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فيه ثمان تأويلات: الأول-" المستقدمين" في الخلق إلى اليوم، و" المستأخرين" الذين لم يخلقوا بعد، قاله قتادة وعكرمة وغيرهما. الثاني-" المستقدمين" الأموات، و" المستأخرين" الأحياء، قاله ابن عباس والضحاك. الثالث-" المستقدمين" من تقدم أمة محمد، و" المستأخرين" أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد. الرابع-" المستقدمين" في الطاعة والخير، و" المستأخرين" في المعصية والشر، قاله الحسن وقتادة أيضا. الخامس-" المستقدمين" في صفوف الحرب، و" المستأخرين" فيها، قاله سعيد بن المسيب. السادس-" المستقدمين" من قتل في الجهاد، و" المستأخرين" من لم يقتل، قاله القرظي. السابع:-" المستقدمين" أول الخلق، و" المستأخرين" آخر الخلق، قاله الشعبي. الثامن-" المستقدمين" في صفوف

الصلاة، و" المستأخرين" فيها بسبب النساء. وكل هذا معلوم لله تعالى، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة. إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية، لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال:" كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله عز وجل" ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين". وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس. وهو أصح «١».

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سبب نزول؟

ج: لم يصح لها سبب نزول، والله أعلم.

هذا، وقد تقدمت الإشارة فيما أورده الطبري من حديث ابن عباس أنه كانت هناك امرأة حسناء تصلي وكان رجالٌ يتعمدون التأخر في الصفوف لرؤيتها أثناء سجودهم من تحت الآباط، وآخرون يتقدمون الصفوف كي لا يرونها.

فنزلت الآية، ولا يصح هذا الخبر. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بداية خلق آدم عليه السلام وما كان من أمر إبليس اللعين

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ
مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ
ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ
هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ
بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

Nesrawy.com

[الحجر: ٢٦-٤٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿صَلْصَٰلٍ - حَمَإٍ - مَّسْنُونٍ - وَٱلْجَآنَّ - نَّارِ ٱلسَّمُومِ - سَوَّيْتُهُۥ - فَقَعُوا۟ لَهُۥ - أَبَىٰٓ - رَجِيمٌ - ٱللَّعْنَةَ - فَأَنظِرْنِىٓ - ٱلْمُنظَرِينَ - يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ - بِمَآ أَغْوَيْتَنِى - لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ - وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ - ٱلْمُخْلَصِينَ - صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ - سُلْطَٰنٌ - ٱلْغَاوِينَ - سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ - جُزْءٌ مَّقْسُومٌ - بِسَلَٰمٍ - ءَامِنِينَ - غِلٍّ - مُّتَقَٰبِلِينَ - لَا يَمَسُّهُمْ - نَصَبٌ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿صَلْصَٰلٍ﴾	طين يابس.
﴿حَمَإٍ﴾	طين أسود.
﴿مَّسْنُونٍ﴾	متغير - منتن.
﴿وَٱلْجَآنَّ﴾	قيل: إنه إبليس، وقيل: إنه أبو الجن.
﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	النار القاتلة - طرف اللهب وهو أشده، وقيل: الحرارة الشديدة تكون في الليل.
﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾	عدَّلته.
﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ﴾	فخِروا له.
﴿أَبَىٰٓ﴾	امتنع - رفض.
﴿رَجِيمٌ﴾	مرجوم (بالنجوم) ومرجوم بالسباب والشتم وبغير ذلك
﴿ٱللَّعْنَةَ﴾	الطرد والإبعاد والإهانة.

MOSTAFALADAWY.COM

﴿فَأَنظِرُونِ﴾	فأخرني.
﴿ٱلْمُنظَرِينَ﴾	المؤجلين (الذين تأخر موتهم).
﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾	يوم القيامة.
﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾	بسبب إغوائك لي - قسمٌ بالذي أغواه.
﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾	لأحسنن لهم وأجملن في أنظارهم.
﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾	لأصرفنهم عن طريق الحق والصواب.
﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	الذين اصطفيتهم وهديتهم ووفقتهم.
﴿صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾	طريق علي إيضاحه وبيانه، أي: عليَّ بيان طريق الحق الموصل إليَّ، وإيضاحه وقيل: مردكم جميعًا إليَّ فأجازي المحسن بإحسانه، وقيل: طريق الحق يوصل إلي!
﴿سُلْطَٰنٌ﴾	حجة - برهان.
﴿ٱلْغَاوِينَ﴾	المنصرفين عن الحق والرشاد.
﴿سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾	قيل: سبعة أطباق.
﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	جزء مقدر معلوم، وقيل: بحسب أعمالهم.
﴿بِسَلَٰمٍ﴾	بسلامة من الآفات والعلل.
﴿ءَامِنِينَ﴾	آمنين من العذاب.
﴿غِلٍّ﴾	ضغينة وحقد.

MOSTAFAALDAW.COM

﴿مُّنَقَـٰبِلِينَ﴾	يقابل بعضهم بعضًا.
﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾	لا يصيبهم.
﴿نَصَبٌ﴾	تعب.

س: ما المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾؟

ج: المراد به آدم عليه السلام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصلصال؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها وأشهرها: والذي عليه أكثر العلماء أن الصلصال هو الطين اليابس الذي لم تصبه النار، فإذا نقرته بيدك أو بأصبعك سُمع له صوت.

الثاني: أنه الطين المخلوط بالرمل، فصار له صوت عند نقره.

الثالث: أن الصلصال الطين المُنتن.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحمأ؟

ج: المراد بالحمأ الطين الأسود، وهذا قول أكثر العلماء.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿﴾؟

ج: لأه العلم في ذلك أقوال:

أحدها: المُتَغير (المنتن الذي تغيَّرت رائحته)، أي: الطين الذي ترك فأنتن فتغيَّرت رائحته.

MOSTAFAALAWY.COM

ثانيها: المصبوب، وفيه أقوال:

الأول: أنه كالذي صُبَّ في قالب حتى يخرج من القالب على الصورة المراد.

الثاني: الذي صُبَّ نتيجة الاحتكاك.

ثالثها: أن المسنون الطيب الرطب.

وأشهر الأقوال القول الأول، والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد خلقنا الإنسان، وهو أبوكم آدم عليه السلام من صلصال وهو الطين اليابس الذي لم تُصبه النار، وهذا الصلصال المستخرج من حمإٍ مسنون، وهو الطين الأسود المتغير.

وقيل: الطين الأسود الذي تَأَتَّى عن طريق تراب تولد بالاحتكاك فبالاحتكاك يتولد تراب ويُصب.

وقيل: يصب في قالب حتى تخرج الصورة على هيئة القالب، وقيل: إن الطين الأسود نفسه صُبَّ في قالب على هيئة الصورة.

والقول الأول أولى، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذُكر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال. واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال، فقال بعضهم: هو الطين اليابس لم تصبه نار،

MostafaDaw.com

فإذا نقرتَه صَلَّ فسمعت له صلصلة.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، قال: خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب ، وأما اللازب: فالجيد، وأما الحَمَأ: فالحمأة، وأما الصَّلصال: فالتراب المرقَّق ، وإنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي.

وبسندٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ) قال: والصلصال: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة.

ومن وجه آخر عن ابن عباس في سنده مقال يسير: (مِنْ صَلْصَالٍ) قال: الصلصال: الماء يقع على الأرض الطيبة ثم يحسَرُ عنها، فتشقق، ثم تصير مثل الخَزَف الرقاق.

وعن ابن عباس أيضًا[1] قال: خُلق الإنسان من ثلاثة: من طين لازب، وصلصال، وحمأ مسنون. والطين اللازب: اللازق الجيد، والصلصال: المرقق الذي يصنع منه الفخار، والمسنون: الطين فيه الحَمْأة.

وقال آخرون: الصلصال: المُنْتِن. وكأنهم وجَّهوا ذلك إلى أنه من قولهم: صلّ اللحم وأصلّ ، إذا أنتن، يقال ذلك باللغتين كلتيهما: يَفْعَل وأَفْعَل.

ثم قال الطبري:

والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال(خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخَّار في يُبسه. ولو كان معناه في ذلك المُنتِن لم يشبهه بالفخارِّ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبَّه به في النتن غيره.

---

(١) في سنده فقط ابن وكيع فيه مقال، وبقية رجاله ثقات، وفي الغالب مشائخ أصحاب الكتب يتابعون.

وأما قوله(مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) فإن الحمأ: جمع حَمْأة، وهو الطين المتَغيِّر إلى السواد. وقوله(مَسْنُونٍ) يعني: المتغير.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله(مَسْنُونٍ) فكان بعض نحويِّي البصريين يقول: عني به: حمأ مصورّ تامّ. وذُكر عن العرب أنهم قالوا: سُنّ على مثال سُنَّة الوجه: أي صورته. قال: وكأن سُنة الشيء من ذلك: أي مثالَه الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير، لأنه من سَنَن مضاعف.

وقال آخر منهم: هو الحَمَأ المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون، وهو من قولهم: سَنَنْتُ الماء على الوجه وغيره إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير، قال: كأنه أخذ من سَنَنْت الحَجَر على الحجر، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر، يقال منه: سننته أسنُه سَنًّا فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سَنِين، ويكون ذلك مُنْتنا. وقال: منه سُمِّيَ المِسَنّ لأن الحديد يُسَنُّ عليه. وأما أهل التأويل ، فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا.

وأورد الطبري من وجوهٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قال: منتن.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة قال: والحمأ المسنون الذي قد تغيَّر وأنتن.

قال الطبري: وقال آخرون: هو الطين الرطب.

قال ابن كثير رحمه الله:

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: المراد بالصلصال هاهنا: التراب اليابس.

والظاهر أنه كقوله تعالى: { خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ

MOSTAFABADR.COM

الْجَانَّ مَن مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ } [الرحمن: ١٤-١٥].

وعن مجاهد أيضا: الصلصال: المنتن.

وتفسير الآية بالآية أولى.

وقوله: { مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } أي: الصلصال من حمأ، وهو: الطين. والمسنون: الأملس، كما قال الشاعر:

ثم خاضت إلى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

أي: أملس صقيل.

ولهذا روي عن ابن عباس: أنه قال: هو التراب الرطب. وعن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك أيضا: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون هاهنا: المصبوب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ} يعني آدم عليه السلام. {مِنْ صَلْصَالٍ} أي من طين يابس ؛ عن ابن عباس وغيره. والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف ، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار ؛ عن أبي عبيدة. وهو قول أكثر المفسرين. وأنشد أهل اللغة :

كعدو المصلصل الجوال

وأورد أقوالًا أُخر وقال: أي يصوت إذا نقرته كما يصوت الحديد. فكان أول ترابا ، أي متفرق الأجزاء ثم بل فصار طينا ؛ ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنونا ؛ أي متغيرا ، ثم يبس فصار صلصالا ؛ على قول الجمهور.

ثم قال: والمسنون المتغير ... وأورد أقوالًا وقال:

وقال الفراء : هو المتغير ، وأصله من قولهم : سننت الحجر على الحجر

MOSTAFALADAWY.COM

إذا حككته به. وما يخرج من الحجرين يقال له السنانة والسنين ؛ ومنه المسن.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عليه السلام، وما جرى من عدوه إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا من شره وفتنته فقال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ } أي آدم عليه السلام { مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } أي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عرفت هذا فاعلم أن الله جل وعلا أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم فبين أنه أولاً تراب بقوله : { إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [آل عمران : ٥٩] وقوله : { ياأيها الناس إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ } [الحج : ٥] وقوله { هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ } [غافر : ٦٧] الآية إلى غير ذلك من الآيات ثم اشار إلى ان ذلك التراب بل فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخر كقوله : { إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ } [الصافات : ١١] وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ } [المؤمنون : ١٢] وقوله : { وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ } [السجدة : ٧] إلى غير ذلك من الآيات وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا { مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } [الحجر : ٢٦] وبين أيضاً أنه يبس حتى صار صلصلاً اي تسمع له صلصة من يبسه بقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن صَلْصَالٍ } [الحجر : ٢٦] الآية وقوله : { خَلَقَ الإنسان مِن صَلْصَالٍ كالفخار } [الرحمن : ١٤] الآية والعلم عند الله تعالى .

mostafa.ahlyy.com

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وخلقنا الجان من قبل خلق آدم عليه السلام خلقناه من نار السموم.

أما الجآن فمن المراد به؟

قال بعض أهل العلم: إن الجان هو إبليس، وقيل: إنه غير إبليس ففضل فريق، وقال إبليس: هو أبو الشياطين كلهم وكلهم كفار، أما الجان فهو أبو الجن، وذريته منهم المسلم ومنهم الكافر.

أما نار السموم فمن العلماء من يقول إنها القاتلة، أي: وخلقنا الجآن من النار المُحرقة القاتلة.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالسموم طرف اللهب، أي: أعلاه، وهو أشد شيء فيه.

وقال آخرون: إن السموم هي الحرارة الشديدة ليلاً، والحرور هي الحرارة الشديدة نهارًا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره:(والجانَّ) وقد بيَّنا فيما مضى معنى الجانّ ولم قيل له جان. وعني بالجانّ هاهنا: إبليس أبا الجنّ. يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) وهو إبليس خُلق قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله

MOSTAFAABW.COM

من الكرامة، فقال: أنا ناريّ، وهذا طينيّ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره، فقال(اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) .

واختلف أهل التأويل في معنى(نَارِ السَّمُومِ) فقال بعضهم: هي السموم الحارّة التي تقتل.

وقال آخرون: يعني بذلك من لهب النار.

وأورد بسند صحيح عن أبي إسحاق، قال: دخلت على عمرو بن الأصم أعوده، فقال: ألا أحدّثك حديثًا سمعته من عبد الله؟ سمعت عبد الله يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خرج منها الجانّ. قال: وتلا(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) . وكان بعض أهل العربية يقول: السموم بالليل والنهار. وقال بعضهم: الحَرُور بالنهار، والسموم بالليل، يقال: سَمَّ يومُنا يَسَمُّ سَمُومًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: { وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ } أي: من قبل الإنسان { مِنْ نَارِ السَّمُومِ } قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل.

وقال بعضهم: السموم بالليل والنهار. ومنهم من يقول: السموم بالليل، والحرور بالنهار.

وأورد ما في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق بنو آدم مما وصِف لكم**»[1] ومقصود الآية: التنبيه على شرف آدم، عليه السلام، وطيب عنصره، وطهارة مَحْتده.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

---

(١) مسلم (٢٩٩٦).

MOSTAFALADY.COM

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس[1]، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عنه الضحاك أنه قال: الجانُّ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر.

والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل.

فإن قيل: أليس أبو الجن هو إبليس؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله.

والثاني: أن الجانَّ أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذًا فرق على ما ذكرناه عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جانًّا، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني: قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.

❁ ❁ ❁

أمر الله ﷻ إبليس بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥١، ٢٥٠٢)، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله ﷺ القردة، قال مسعر: وأراه قال: والخنازير من مسخ؟ فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

﴿ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يا رسول الله قول ربك ﷻ للملائكة قبل خلق آدم عليه السلام إني سأخلق بشرًا من صلصال، أي: من طين يابس، وهذا الطين اليابس كان طينًا أسودًا متغيرًا من طول مكثه، بل وتغيَّرت رائحته أيضًا ثم إن الله ﷻ ذكَّرهم، وأمرهم قائلًا فإذا سوَّيته، عدّلته وأحسنت قوامه وصورته ونفخت فيه من روحي فأصبح حيًّا فخرّوا له ساجدين، أي: فاسجدوا له، فلما خلقه الله ﷻ ونفخ فيه من روحه سجد الملائكة كلهم بلا تخلف ولا تردد، كلهم سجدوا جيمعًا إلا إبليس، وقد تقدم الكلام في شأنه، وهل هو داخل في عداد الملائكة، أي: هل كان ملكًا أم لا؟ والظاهر، وكما قدمنا في سورة البقرة أنه لم يكن ملكًا، وذلك لقوله: ﴿﴾، ولقوله تعالى: ﴿﴾.

فالحاصل: أن الأمر وجِّه إليه بالسجود مع من وجِّه لهم الأمر، فتخلف عن السجود، وامتنع أشد الامتناع مخالفًا أمر ربِّه ﷻ - فقال الله له - إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين؟ وما منك ألا تسجد إذ أمرتك؟

ما سبب امتناعك عن السجود، وما سبب مخالفتك لأمر الله ﷻ، قال معلِّلًا لم أكن لأسجد البشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون.

وفي الآية الأخرى يقول: ﴿﴾.

وفي الثالثة: ﴿﴾ فامتنع متكبرًا متعاليًا متعاظمًا في نفسه حاسدًا آدم عليه السلام، قائلًا في آية أُخرى: ﴿﴾ فحيئذٍ قال تعالى: ﴿﴾ أي: من الجنة، ﴿﴾، مرجوم، مرجوم بالسباب واللعن ومرجوم بالهب والنجوم كما قال تعالى: ﴿﴾.

وقوله تعالى: ﴿﴾ أي: وإن عليك الطرد والإبعاد من الرحمة إلى يوم

الدين، ثم يوم الدين لكن الجحيم والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:(و) اذكر يا محمد(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون فَإِذَا سَوَّيْتُهُ).

يقول: فإذا صوّرته فعدَّلت صورته(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) فصار بشرا حيا(فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة.

يقول تعالى ذكره: فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه، سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره(يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) يقول: ما منعك من أن تكون مع الساجدين ، فأن في قول بعض نحويي الكوفة خفض، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض.

وقوله(وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) يقول: وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات وطردك عنها إلى يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة، وقد بيَّنا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إياه بأمره الملائكة بالسجود له. ويذكر تخلف إبليس عدوّه عن السجود له من بين سائر الملائكة، حَسَدًا وكفرًا، وعنادًا واستكبارًا، وافتخارًا بالباطل، ولهذا قال: { لَمْ أَكُنْ لأسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } كما قال في الآية الأخرى: { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } [الأعراف: ١٢]

Mostafa Adly .com

وقوله: (١) { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا } [الإسراء: ٦٢].

ويقول آمرًا لإبليس أمرًا كونيًّا لا يخالف ولا يمانع، بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلى، وإنه { رَجِيمٌ } أي: مرجوم. وإنه قد أتبعه لعنةً لا تزال متصلة به، لاحقةً له، متواترة عليه إلى يوم القيامة.

قال السعدي رحمه الله:

فلما أراد الله خلق آدم قال للملائكة: { إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ } جسدا تاما { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } فامتثلوا أمر ربهم.

{ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيما لأمر الله وإكراما لآدم حيث علم ما لم يعلموا.

{ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } وهذه أول عداوته لآدم وذريته.

قال الله: { يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته وأعجب بعنصره وقال أنا خير من آدم.

{ قَالَ } الله معاقبا له على كفره واستكباره { فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } أي مطرود مبعد من كل خير { وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ } أي الذم والعيب والبعد عن رحمة الله { إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } ففيها وما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

Nosiraaldawy.com

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: عدَّلتُ صورته، وأتممتُ خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا تُعْلَم ما هيَّتُها، وإنما أضافها إليه، تشريفًا لآدم، وهذه إضافة مِلْك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخًا، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه.

قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا۟﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلُّهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلًا» تدل على اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك اللعنة أبدًا.

❁ ❁ ❁

طلب إبليس المهلة إلى يوم البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: مفاده أن إبليس لعنه الله لما طرده الله ﷻ وأبعده عن الجنة طلب من الله ﷻ الإمهال، أي: تأخير موته إلى يوم البعث، فقال: رب فأنظرني، أجِّلني وأخرني إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ما أراد من الإمهال

MOSTAFAADLY.COM

والتأخير لمزيدٍ من الفتنة والابتلاء، ومن ثمَّ التعذيب، فقال الله له: فإنك من المُنظرين، المؤجلين المؤخرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم القيامة، وقيل: يوم إماتته يوم النفخ في الصور. فالله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ربّ فإذ أخرجتني من السموات ولعنتني، فأخِّرني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له: فإنك ممن أُخِّر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم دَيَّار.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي } أي أمهلني { إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك ولذلك حذرنا منه غاية التحذير وشرح لنا ما يريده منا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم–: قال الشيطان: لما أخذ من الله ﷻ وعدًا بالإنظار والتأخير إلى يوم القيامة، فعندها قال ربما بما أغويتني، وقيل: هذا قسمٌ منه

بالله الذي أغواه، وقيل: المعنى بسبب إغوائك لي وصرفك لي عن طريق الهدى والرشاد ﴿﴾ أي: لأزينن لهم المعاصي فيقعوا فيها، ولأزينن لهم الشرك فيقعوا فيه، وكذا لأزينن لهم الدنيا حتى ينشغلوا بها عن طاعتك ﴿﴾ ولأصرفنهم عن طريق الحق أجمعين إلا عبادك الذين أخلصتهم ووفقتهم وهديتهم فهؤلاء لا سبيل لي عليهم ولا أستطيع غوايتهم فقال تعالى: ﴿﴾ قيل: في معناه هذا طريق مردكم جميعًا فيه إليَّ فأجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقيل: المعنى: إن طريق الحق طريق يوصِّل إليَّ ويدلُّ عليَّ.

وقيل: المعنى: هذا طريقٌ مستقيم، طريق الحق عليَّ بيانُه وعليَّ إيضاحه للخلق.

ثم يقول تعالى لإبليس لعنه الله، إن عبادي الذين أخلصتهم واصطفيتهم ووفقتهم للإسلام ليس لك عليهم حجة ولا سلطان، فلن تستطيع أن تغويهم وتُضلَّهم وتصرفهم عن الحق، وهذا كقوله تعالى: ﴿﴾ فالمعنى: فإنكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله لن تستطيعوا أن تصرفوا شخصًا عن الحق وتفتنوه إلا شخصًا كتب الله عليه الغواية والعياذ بالله، فقوله تعالى: ﴿﴾ فإنك تقوده للضلال وتوقعه في الكفر، وقد كتب الله عليه ذلك، وأن جهنم لموعدهم، موعد من اتبعوك معك كلكم جميعًا، فهنالك المُلتقى، وهنالك الاجتماع اجتماع إبليس مع جنده وأتباعه.

ثم يذكر الله ﷻ عدد أبواب جهنم فيقول تعالى: ﴿﴾، معلوم ومحددٌ ومقدرٌ، وقد قال بعض أهل العلم، إن المراد بقوله: ﴿﴾ سبعة أطباق. فالله أعلم.

ثمَّ هذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبليس:(رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) بإغوائك(لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) وكأن قوله(بِمَا أَغْوَيْتَنِي) خرّج مخرج القسم، كما يقال: بالله، أو بعزّة الله لأغوينهم. وعنى بقوله(لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) لأحسننّ لهم معاصيك، ولأحببنها إليهم في الأرض(وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول: ولأضلّنهم عن سبيل الرشاد(إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به. وقد قرئ:(إلا عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلِصِينَ) فمن قرأ ذلك كذلك، فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك، فإنه لا سبيل لي عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى : { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله(قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فقرأه عامَّة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة(هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) بمعنى: هذا طريق إليّ مستقيم.

فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إليّ فأجازي كلا بأعمالهم، كما قال الله تعالى ذكره(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) ،وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده: طريقك عليّ، وأنا على طريقك، فكذلك قوله :(هَذَا صِرَاطٌ) معناه: هذا طريق عليّ وهذا طريق إليّ. وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك.

وقوله(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما

دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك.

وقال في تأويل قوله تعالى : { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) }

يقول تعالى ذكره لإبليس: وإن جهنم لموعد من تبعك أجمعين(لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) يقول: لجهنم سبعة أطباق، لكلِّ طَبَق منهم: يعني من أتباع إبليس جزء، يعني: قسما ونصيبا مقسوما.

وذُكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض.

وأورد بسندٍ صحيح عن شعبة، قال: سمعت أبا هارون الغنوي، قال: سمعت حِطان، قال: سمعت عليا وهو يخطب، قال: إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى.

وأورد من طريق أبي إسحاق عن هبيرة، عن علي، قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: { بِمَا أَغْوَيْتَنِي } قال بعضهم: أقسم بإغواء الله له.

قلت: ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني { لأزَيِّنَنَّ لَهُمْ } أي: لذرية آدم، عليه السلام { فِي الأرْضِ } أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغّبهم فيها، وأؤزّهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا، { وَلأغْوِيَنَّهُمْ } أي: كما أغويتني ونَدَّرت على ذلك، { أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } كَمَا قَالَ { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا } [الإسراء: ٦٢]

MOSTAFAABW.COM

قال الله تعالى له متهددًا ومتوعدًا (١) { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } أي: مرجعكم كلكم إلي، فأجازيكم بأعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما قال تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر: ١٤]

وقيل: طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى، وإليه تنتهي. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة كما قال: { وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } [النحل: ٩]

وقرأ قيس بن عُباد، ومحمد بن سيرين، وقتادة: "هذا صراط علي مستقيم"، كقوله: { وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الزخرف: ٤] أي: رفيع. والمشهور القراءة الأولى.

وقوله: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } أي: الذين قدرت لهم (٢) الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم، { إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } استثناء منقطع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا:

وقوله: { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } أي: جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود: ١٧]

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب: { لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه -أجارنا الله منها- وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في دَرَك بقدر فعله.

وما أورد القرطبي في تفسيره، قوله في تفسير: ﴿﴾ ما ذكره إذ قال، بعد أن أورد أقوالًا: فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلي فأجازي كلا بعمله يعني طريق العبودية وقيل : المعنى علي أن أدل على الصراط المستقيم بالبيان

MOSTAFALABIB.COM

والبرهان وقيل : بالتوفيق والهداية.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاصَ، فالمعنى: إن الإخلاص طريق إليَّ مستقيم، و «عليَّ» بمعنى «إليَّ».

والثاني: هذا طريق عليَّ جَوازه، لأني بالمرصاد، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك عليَّ، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر ١٤].

والثالث: هذا صراط عليَّ استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ } أي أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى حتى يكونوا منقادين لكل معصية { وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } أي أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم { إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } أي الذين أخلصتهم واجتبيتهم لإخلاصهم وإيمانهم وتوكلهم

قال الله تعالى { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } أي معتدل موصل إليَّ وإلى دار كرامتي

{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات بسبب عبوديتهم لربهم وانقيادهم لأوامره أعانهم الله وعصمهم من

MOSTAFALADY.COM

الشيطان

{ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ } فرضي بولايتك وطاعتك بدلا من طاعة الرحمن { مِنَ الْغَاوِينَ } والغاوي ضد الراشد فهو الذي عرف الحق وتركه والضال الذي تركه من غير علم منه به

{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } أي إبليس وجنوده { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ } كل باب أسفل من الآخر { لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ } أي من أتباع إبليس { جُزْءٌ مَقْسُومٌ } بحسب أعمالهم قال الله تعالى { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ }.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والذي عليه الأكثر من العلماء أن جهنم أعلى الدركات وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم سعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، قال الضحاك : في الدرك الأعلى المحمديون، وفي الثاني النصارى، وفي الثالث اليهود، وفي الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أهل المائدة، قال الله تعالى : ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] وقد تقدم في النساء وقال: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [المائدة: ١١٥].

❁ ❁ ❁

بيانٌ لبعض ما أعد للمتقين

Nostrabaw.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: بيان لحال المتقين، الذين اتقوا الشرك واتقوا العصيان، وذلك بعد أن بُيِّن، حال الفجار الأشرار، فهذا بيان لحال الأبرار أهل التقوى ومصيرهم إنهم في جنات، حدائق وبساتين، وعيون جارية‌ن يقال لهم: ادخلوها، ادخلوا الجنة بسلام من الآفات والأمراض، وسلام من العذاب والعقاب آمنين من العذاب، آمنين نم الزوال والتحول والانتقال، ثم يذكر الله ﷻ مِنَّته وفضله على أهل الجنة فيقول تعالى: ﴿﴾ من حسدٍ وضغينة لبعضهم البعض، وجعلناهم إخوانًا على سررٍ متقابلين، يقابل بعضهم بعضًا ويواجه بعضهم بعضًا، لا يصيبهم فيها تعبٌ، وما هم من الجنة بمخرجين، لن يخرجوا منها ولا يتحولون عنها ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿﴾ جعلنا الله من أهلها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه، فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون ، يقال لهم:(ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ) من عقاب الله، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم ، وكرامة أكرمكم بها. قوله(وَنزعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) يقول: وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض.

واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم، فقال

MOSTAFALOVE.COM

بعضهم: ينزل ذلك بعد دخولهم الجنة.

وأورد الطبري جملة آثارٍ، وفي أسانيدها مقال مؤداها وفحواها أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزَّل هذه الآية علي وطلحة والزبير وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أعني نزَّل عليهم قوله تعالى: ﴿﴾، وهذا وإن كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عثمان وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ممن يدخلون في الآية، لكن بعمومها تشملهم وتشمل المتقين.

هذا، وأورد الطبري حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا**». وقال بعضهم: ما يشبَّه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يَمسّ هؤلاء المتقين الذين وصف صِفتهم في الجنات نَصَب، يعني تَعَب(وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) يقول: وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين، بل ذلك دائم أبدا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال أهل النار، عطف على ذكر أهل الجنة، وأنهم في جنات وعيون.

وقوله: { ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ } أي: سالمين من الآفات، مسلمًا عليكم، { آمِنِينَ } من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع، ولا فناء.

... وقال:

MOSTAFALABIB.COM

وقوله: { لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ } يعني: المشقة والأذى، كما جاء في الصحيحين: «**إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصَب، لا صخب فيه ولا نصب**».

وقوله: { وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } كما جاء في الحديث: «**يقال يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا**»، وقال الله تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا } [الكهف: ١٠٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ أي الذين اتقوا الفواحش والشرك ﴿في جنات﴾ أي بساتين ﴿وعيون﴾ هي الأنهار الأربعة : ماء وخمر ولبن وعسل وأما العيون المذكورة في سورة الإنسان : الكافور والزنجبيل والسلسبيل وفي المطففين : التسنيم فيأتي ذكرها وأهلها إن شاء الله.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : { على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين } .

بين في هذه الآية الكريمة أن المتقين الذين هم أهل الجنة يوم القيامة يكونون على سرر وأنهم متقابلون ينظر بعضهم إلى وجه بعض ووصف سررهم بصفات جميلة في غير هذا الموضع منها أنها منسوجة بقضبان الذهب وهي الموضونة قال في الواقعة : { ثُلَّةٌ مِّنَ الأولين وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخرين على سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ } [الواقعة : ١٣-١٦] وقيل الموضوعة المصفوفة كقوله : { مُتَّكِئِينَ على سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ } [الطور : ٢٠] الآية ومنها أنها مرفوعة كقوله في الغاشية : { فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ } [الغاشية : ١٣] الآية

وقوله في الواقعة : { وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ } [الواقعة : ٣٤] ، وقوله { مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ } [الرحمن : ٧٦] إلى غير ذلك من الآيات .

قوله تعالى : { لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ } .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء وقوله نصب نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب فتدل الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والإعياء وقوله نصب نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب فتدل الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أواع التعب والمشقة وأكد هذا المعنى في قوله تعالى : { الذي أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } [فاطر : ٣٥] لأن اللغوب هو التعب والإعياء أيضاً وقد صح عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** » .

قوله تعالى : { وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ } .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يخرجون منها وأكد نفي إخراجهم منها بالباء في قوله { بِمُخْرَجِينَ } فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع . وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر كقوله : { إِنَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفردوس نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } [الكهف : ١٠٧-١٠٨] وقوله : { وَبَشِّرَ المؤمنين الذين يَعْمَلُونَ الصالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً } [الكهف : ٢-٣] وقوله : { عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود : ١٠٨] وقوله : { إِنَّ هذا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ } [ص : ٥٤] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم والنعيم المقيم فقال: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ } .

يقول تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ } الذين اتقوا طاعة الشيطان وما يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان { فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } قد احتوت على جميع الأشجار وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات.

ويقال لهم حال دخولها: { ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ } من الموت والنوم والنصب، واللغوب وانقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه ومن المرض، والحزن والهم وسائر المكدرات، { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ } فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل (١) وحسد متصافية متحابة { إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } .

دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

{ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ } لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة لا تقبل شيئا من الآفات، { وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } على سائر الأوقات.

ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى.

MostafaLabiy.com

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ
ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ
إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ
أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ
قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ
أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ
ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟
أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ

Mostafa Adly.com

إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ
﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ
أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

[الحجر: ٤٩-٧٩]

MOSTAFAALADWY.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَبِّئْ - وَجِلُونَ - لَا تَوْجَلْ - عَلِيمٍ - مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ - ٱلْقَنِطِينَ - فَمَا خَطْبُكُمْ - قَدَّرْنَآ - ٱلْغَٰبِرِينَ - مُّنكَرُونَ - يَمْتَرُونَ - بِٱلْحَقِّ - فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ - بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ - وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ - وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ - وَقَضَيْنَآ - دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ - يَسْتَبْشِرُونَ - نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ - لَعَمْرُكَ - سَكْرَتِهِمْ - يَعْمَهُونَ - مُشْرِقِينَ - فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا - سِجِّيلٍ - لِّلْمُتَوَسِّمِينَ - لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ - أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ - لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَبِّئْ﴾	أخبر - بلِّغ.
﴿وَجِلُونَ﴾	خائفون.
﴿لَا تَوْجَلْ﴾	لا تخف.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم.
﴿مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾	تقدمت في العُمر، كبرت سني.
﴿ٱلْقَنِطِينَ﴾	اليائسين من رحمة الله.
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿قَدَّرْنَآ﴾	حكما وكتبنا (عليها).
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب.
﴿مُّنكَرُونَ﴾	لا نعرفهم - غير معروفين.
﴿يَمْتَرُونَ﴾	يشكون - يجادلون.

MOSTAFALADW.COM

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾	بالحكم الحق – مجيئنا إليك بالحق.
﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾	فأخرج ليلًا بأهلك (قيل في الثلث الأخير).
﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾	في ساعات متأخرة من الليل.
﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾	امشي خلفهم.
﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾	انطلقوا حيث يوجهكم الله ويأمركم.
﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾	أبلغنا – أفهمناه أن هذا القضاء قضى وحُكم على قومه به.
﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾	هلكى عن آخرهم، سيقطع سيرتهم ولا تسمع عنهم إلا أخبا تحدث بشأنهم في الصباح.
﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	يُبشر بعضهم بعضًا.
﴿نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	ننهك عن استضافة الرجال.
﴿ لَعَمْرُكَ ﴾	لحياتك – لعيشك (قسم بحياة النبي ﷺ).
﴿سَكْرَتِهِمْ ﴾	ضلالتهم – لعبهم – السُّكر الذي أصابهم، وغطى على عقولهم بسبب شهوتهم.
﴿يَعْمَهُونَ ﴾	تحيرون – يترددون.
﴿مُشْرِقِينَ ﴾	عند شروق الشمس.
﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا	فقلبنا البلاد فجعلنا أعلاها أسفلها.

MOSTAFAADWY.COM

﴿سِجِّيلٍ﴾	طين متحجر.
﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	للمتفرسين – للمتأملين – للمتفكرين – للمعتبرين.
﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾	لبطريق قائم (يراه الناس).
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾	أصحاب الشجر الملتف (وهم قوم شعيب عليه السلام).
﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	لبطريق يؤتم به ويستدل به على غيره.

MOSTAFAADW.COM

❁ ❁ ❁

الجمع بين الخوف والرجاء

س: كثيرًا ما يقرن بين مقامي الخوف والرجاء، فيذكر الناس بمغفرة الله ثم بعقوبته أو العكس دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ ﴾.
* وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [].
* وقوله تعالى: ﴿ ﴾ [].

والآيات في هذا الصدد كثيرة، وكذا الأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ سبب نزول؟

ج: لم يصح للآية الكريمة سبب نزول، وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : أخبر يا رسول الله عبادي، الذين هم - في هذا المقام - عموم خلقي، أني أنا الغفور، كثير المغفرة لخلقي ولمن استغفرني وتاب إليَّ ورجع فإني أستر على ذنوبه وأتجاوزك عنها، وأخبرهم أيضًا أنني الرحيم بهم، فقد فتحت لهم أبواب التوبة كي يرهبوا عن ذنوبهم وجرائمهم، وكذلك فإني رحيم بهم إذ أرشدتهم وأرسلتك إليهم وأنزلت عليك كتابي إليهم نورًا يستنيرون به وهدًى يهتدون به، وكذا فإني أرحم بهم من أنفسهم.

MOSTAFALAW.COM

وكذا فأخبرهم أن عذابي لمن عصاني وتمرد على أوامري واجترأ على ما نهيته عنه، هو العذاب المؤلم الموجع حقًّا فليس فوقه عذاب، وليس ثمَّ عذاب أشد منه.

فعليهم من ثمَّ أن يستغفرون ويرجعوا إليَّ ولا ييأسوا من رحمتي ومغفرتي، وكذا لا يأمنوا مكري وعذابي ولا يستخفوا بأوامري.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أخبر عبادي يا محمد، أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعذّبهم بعد توبتهم منها عليها(وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ) يقول: وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصرّ على معاصيّ وأقام عليها ولم يتب منها، هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب. هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه، وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

{ نَبِّئْ عِبَادِي } أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، { أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سَعَوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبئهم { وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ } أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه { لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد } حذروا وأبعدوا عن كل سبب

MOSTAFABDW.COM

يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وأخبر عبادي يا رسول الله بضيوف نبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، أخبرهم بضيوف إبراهيم لما دخلوا عليه فسلموا عليه سلامًا، وحيّوه بتحية الإسلام السلام، فقرب إليهم طعامًا فرآهم لا يأكلون فخافهم كما في آيات أخر فقال لهم حينئذٍ: إنا منكم وجلون، أي: خائفون، قالوا: مطمئنين له لا توجل، لا تخف إنا جئناك ببشارة من عند الله ﷻ، إنا نبشرك بغلام: ﴿﴾ سيكون عالمًا مُعلِّمًا، وهو إسحاق عليه السلام، وذلك لقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿﴾.

فعندها، أي: عند هذه البشارة، قال الخليل عليه السلام: أبشرتموني على أن مسني الكبر، أبشرتموني، وقد تقدم سني وبلغت من الكبر مبلغًا؟!!

يتعجب عليه السلام من هذه البشارة، وهو على هذه الحال من الكبر، وامرأته كانت عاقرًا كذلك فقد مكث إبراهيم زمانًا طويلًا من عمره لم يرزق بالذرية،

كما تقدم في قوله: ﴿﴾.

ففي هذا تصبير لمن تأخرت عنه الذرية، فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام تعجب هو وزوجته من سارة عليها السلام من هذه البشارة وأدى للملائكة الكرام الذين هم أضيافه تعجبه بقوله: ﴿﴾ قالوا مجيبين: ﴿﴾ أي: بالبشارة الحق التي هي من عند الله عز وجل: ﴿﴾ الآيسين من رحمة الله، ومن رزق الله عز وجل.

فعندها قال الخليل عليه السلام: ﴿﴾، أي: ومن ييأس من رحمة الله ويستبعدها إلا من بعيد عن الحق والصواب والهدى والرشاد، الذي أخطأ الطريق طريق الإيمان ومادعته.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم: يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم(فَقَالُوا سَلامًا) يقول: فقال الضيف لإبراهيم: سلاما(قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) يقول: قال إبراهيم: إنا منكم خائفون. وأما قوله(قَالُوا سَلامًا) وهو يعني به الضيف، فجمع الخبر عنهم، وهم في لفظ واحد، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل، فلذلك جمع خبره، وهو لفظ واحد. وقوله(قَالُوا لا تَوْجَلْ) يقول: قال الضيف لإبراهيم:(لا توجل) لا تخف(إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ).

وقال في تأويل قوله تعالى : { قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ (٥٤) }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة الذين بشَّروه بغلام عليم(أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ) يقول: فبأي شيء

تبشرون.

وقال في تأويل قوله تعالى : { قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ (٥٦) } .

يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحقّ يقين، وعلم منَّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البُشرى.

وقوله(قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وخبرهم يا محمد عن قصة { ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ } والضيف: يطلق على الواحد والجمع، كالزور والسُّفْر-وكيف { دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ } أي: خائفون.

وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم ضيافة، وهو العجل السمين الحنيذ.

{ قَالُوا لا تَوْجَلْ } أي: لا تخف، { وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ } [الذاريات: ٢٨] وهو إسحاق، عليه السلام، كما تقدم في سورة هود.

ثم قال (١) متعجبًا من كبره وكبر زوجته ومتحققًا للوعد: { أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُون } فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا وبشارة بعد بشارة، { قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ } وقرأ

MOSTAFALABIB.COM

بعضهم: "القنطين" (٢) -فأجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأسنَّت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ ضيف إبراهيم: الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم ذكرهم وكان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد وسمي الضيف ضيفا لإضافته إليك ونزوله عليك وقد مضى من حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله ﴿إذ دخلوا عليه﴾ جمع الخبر لأن الضيف اسم يصلح للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر ضافه وأضافه أماله ومنه الحديث «**حيث تضيف الشمس للغروب**» وضيفوفة السهم والإضافة النحوية ﴿فقالوا سلاما﴾ أي: سلموا سلاما ﴿قال إنا منكم وجلون﴾ أي: فزعون خائفون وإنما قال هذا بعد أن قرب العجل ورآهم لا يأكلون على ما تقدم في هود وقيل: أنكر السلام ولم يكن في بلادهم رسم السلام ﴿قالوا لاتوجل﴾ أي قالت الملائكة لا تخف ﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾ أي حليم قاله مقاتل وقال الجمهور: عالم وهو إسحاق ﴿أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ أن مصدرية أي على مس الكبر إياي وزوجتي وقد تقدم في هود وإبراهيم حيث يقول: فبم تبشرون استفهام تعجب وقيل: استفهام حقيقي.

... ثم قال:

قوله تعالى: ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي بما لا خلف فيه وأن الولد لا بد منه ﴿فلا تكن من القانطين﴾ أي من الآيسين من الولد وكان قد أيس من الولد

لفرط الكبر.

وقال في قوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

أي المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب يعني أنه استبعد الولد لكبر سنه لا أنه قنط من رحمة الله تعالى.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: { قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أولئك الضيف الكرام الذين هم ملائكة بشروا إبراهيم بغلاف موصوف بالعلم ونظير ذلك قوله تعالى أيضاً في الذاريات: { قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } وهذا الغلام بين تعالى أنه هو إسحاق كما يوضح ذلك قوله في الذاريات { وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } لأن كونها أقبلت في صرة أي صيحة وضجة وصكت وجهها أي لطمته قائلة إنها عجوز عقيم يدل على أن الولد المذكور هي أمه كما لا يخفى ويزيده إيضاحاً تصريحه تعالى ببشارتها هي بأنها تلده مصرحاً باسمه واسم ولده يعقوب وذلك في قوله تعالى في هود في القصة بعينها: { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ } وأما الغلام الذي بشر به إبراهيم الموصوف بالحلم المذكور في الصافات في قوله تعالى: { وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّي أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ } فهو إسماعيل وسترى إن شاء الله تعالى في سورة الصافات دلالة الآيات القرآنية

على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع ، والغلام يطلق في لغة العرب على العبد وعلى الصغير الذي لم يبلغ وعلى الرجل البالغ ومن إطلاقه على البالغ قول علي رضي الله يوم النهروان : فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ } فهو إسماعيل وسترى إن شاء الله تعالى في سورة الصافات دلالة الآيات القرآنية على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: { وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ } أي: عن تلك القصة العجيبة فإن في قصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم ما يوجب لهم العبرة والاقتداء بهم، خصوصا إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيفه هم الملائكة الكرام أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه.

{ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا } أي: سلموا عليه فرد عليهم { قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ } أي: خائفون، لأنه لما دخلوا عليه وحسبهم ضيوفا ذهب مسرعا إلى بيته فأحضر لهم ضيافتهم، عجلا حنيذا فقدمه إليهم، فلما رأى أيديهم لا تصل، إليه خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم.

فـ { قَالُوا } له: { لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ } وهو إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة بأنه ذكر لا أنثى عليم أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ }

فقال لهم متعجبا من هذه البشارة: { أَبَشَّرْتُمُونِي } بالولد { عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ } وصار نوع إياس منه { فَبِمَ تُبَشِّرُونَ } أي: على أي وجه تبشرون وقد عدمت الأسباب؟

{ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ } الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص -يا أهل هذا البيت- رحمة الله وبركاته عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم.

{ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ } الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجيا لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله: { وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ } الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئا كثيرا، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن إبراهيم عليه السلام سأل الملائكة عليهم السلام سؤالًا بعد أن اطمأن إليهم واستأنس معهم وبهم، وبعد أن بشروه بالبشارة التي بشروه بها، قال فما خطبكم، أي: فما شأنكم وما وجهتكم أيها المرسلون، يا ملائكة الله الكرام يا من أرسلكم الله؟!!

فأجابوه بقوله: ﴿﴾ أرسلنا الله عز وجل لتدمير بلادهم ولإهلاكهم وتعذيبهم واختبارهم وابتلائهم واستدراجهم، أرسلنا إلى قوم مجرمين اجترموا الكفر والكبائر واكتسبوها وتمادوا فيها ولم ينتفعوا بنصح ولا بتذكير، أرسلنا لتدمير وإهلاك قوم لوط الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا واجترموا الجرائم

العظيمة بفعلة شنيعة لم تكن موجودة من قبل في أسلافهم، ألا وهي إتيان الذكران من العالمين.

أرسلنا إليهم لتدمير بلادهم ولتعذيبهم، فعندما قالوا ذلك لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ذكرهم بمن فيها من أهل الفضل والصلاح، كما في آية أُخرى إذ ﴿﴾ فأجابوه بقولهم نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته، وهنا قالوا لإبراهيم عليه السلام: إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا، قضينا عليها بالهلاك والبقاء في العذاب مع المعذبين، مع الهلكى الذي سيهلكون، وذلك بأمر الله لنا بذلك.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم: ما أمرُكم أيُّها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله ، إلا آل لوط: يقول: إلا اتباع لوط على ما هو عليه من الدِّين، فإنا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذّب به قوم لوط ، سوى امرأة لوط قدّرنا إنها من الغابرين: يقول : قضى الله فيها إنها لمن الباقين ، ثم هي مهلكة بعد.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم، عليه السلام، لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى: إنه شرع يسألهم عما جاؤوا له، فقالوا: { إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ } يعنون: قوم لوط. وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المهلكين؛ ولهذا قالوا: { إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ }

Mostafaadwy.com

أي: الباقين المهلكين.

❁ ❁ ❁

قصة لوط عليه السلام مع الملائكة

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الملائكة الكرام عليهم السلام انصرفوا من عند نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم واتجهوا إلى بلاد قوم لوط، ومدائنهم، فذهبوا إلى لوطٍ عليه السلام يسلمون عليه ويخبرونه بأمر قومه وما سيحل بهم، ويخبرونه بالمطلوب منه فعله، فلما دخلوا على لوط عليه السلام، وكانوا على درجة عظيمة من الجمال والبهاء والحسن، استاء لوطٌ عليه السلام لمجيئهم كما تقدم في آيات أخر من سور أخر، إذ قال تعالى: ﴿﴾ وذلك لما يخشاه عليهم من قومه الأشرار، وهنا قال لهم: أنكر قوم منكرون، لا نعرفكم، وكان كذلك لا يعرفهم إلا بعد أن عرَّفوه بأنفسهم، فقالوا له: (كما في آيات أُخر) إنا رسل ربك، وهنا قالوا له بل جئناك لتعذيب هؤلاء القوم، لإنزال العذاب الذي كانوا يشكون فيه ويجادلون فيه لما أخبرتهم به، فها نحن قد جئناك لتعذيبهم ولإحلال العذاب بهم ولتدميرهم لقد جئناك، ومجيئنا إليك بالحق والصدق لم نأت عابثين، ولم نأت من قبل أنفسنا، بل أرسلنا ربنا عز وجل، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به، وصادقون في مجيئنا إليك.

ثم وجهوا إليه النصائح والأوامر قائلين له، فأسر بأهلك، اخرج مع أهلك

ليلًا، في أواخر الليل، وكن من وراء أهلك إذا ساروا حتى تحملهم على الإسراع، وحتى لا يتخلف من أهلك المؤمنين أحدٌ، ولا تلفتوا إلى الوراء، لا تفكروا في شيء تركتموه ولا تنظروا إلى ما سيحل بالقوم، وجدُّوا في امسير، وأمعنوا في الخروج في هذه البلاد وسيروا حيث توجهون، سيروا حيث يرشدكم الله ﷻ ويهديكم، قيل: إن ذلك إلى الشام، وقيل غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: وأخبرناه بذلك الأمر الذي قد قُضي وانتهى، أعلمناه بهذا الأمر الذي هو أن هؤلاء سيهلكون عن آخرهم في الصباح، لن يتخلف عن الإهلاك منهم أحدٌ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿﴾.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط، أنكرهم لوط فلم يعرفهم، وقال لهم:(إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) : أي نُنكركم لا نعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

و يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: وجئناك بالحق اليقين من عند الله، وذلك الحقّ هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط. وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذّبهم به. وقولهم:(وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يقولون: إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك(فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل، واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم، وسر خلفهم وهم أمامك، ولا يلتفت منكم

mostafadawr.com

وراءه أحد، وامضوا حيث يأمركم الله.

و يقول تعالى ذكره: وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول: إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم ، وأنّ من قوله(أَنَّ دَابِرَ) في موضع نصب ردّا على الأمر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض، ويكون معناه: وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين . وعُنِي بقوله(مُصْبِحِينَ): إذا أصبحوا، أو حين يصبحون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه داره، قال: { إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ } يعنون: بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم، وحلوله بساحتهم، { وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ } كما قال تعالى: { مَا نُنزلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ } [الحجر: ٨]

وقوله: { وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } تأكيد لخبرهم (٣) إياه بما أخبروه به، من نجاته وإهلاك قومه، [والله أعلم] (٤)

{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) }

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يَسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، وأن يكون لوط، عليه السلام، يمشي وراءهم، ليكون أحفظ لهم.

Nostratabwr.com

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الغَزاة بما كان يكون (٥) ساقة، يُزجي الضعيف، ويحمل المنقطع (٦)

وقوله: { وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ } أي: إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال، { وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ } كأنه كان معهم من يهديهم السبيل.

{ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ } أي: تقدمنا إليه في هذا { أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } أي: وقت الصباح كما قال في الآية الأخرى: { إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } [هود: ٨١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون﴾ أي لا أعرفكم وقيل : كانوا شبابا ورأى جمالا فخاف عليهم من فتنة قومه فهذا هو الإنكار ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي يشكون أنه نازل بهم وهو العذاب ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي بالصدق وقيل : بالعذاب ﴿وإنا لصادقون﴾ أي في هلاكهم ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ تقدم في هود ﴿واتبع أدبارهم﴾ أي كن من ورائهم لئلا يتخلف منهم أحد فينالـه العذاب ﴿ولايلتفت منكم أحد﴾ نهوا عن الالتفات ليجدوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح وقيل : المعنى لا يتخلف.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: { قَالَ } الخليل عليه السلام للملائكة: { فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ } أي: ما شأنكم ولأي شيء أرسلتم؟

{ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ } أي: كثر فسادهم وعظم شرهم،

لنعذبهم ونعاقبهم، { إِلا آلَ لُوطٍ } أي: إلا لوطا وأهله { إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ } أي: الباقين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: { يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود } فذهبوا منه.

{ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ } لهم لوط { إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ } أي لا أعرفكم ولا أدري من أنتم

{ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ } أي جئناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه ويكذبونك حين تعدهم به { وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ } الذي ليس بالهزل { وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } فيما قلنا لك

{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ } أي في أثنائه حين تنام العيون ولا يدري أحد عن مسراك { وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ } أي بادروا وأسرعوا { وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ } كأن معهم دليلا يدلهم إلى أين يتوجهون { وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ } أي أخبرناه خبرا لا مثنوية فيه { أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } أي سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ويستأصلهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ

﴿مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولما بلغ خبر الأضياف الذين نزلوا بنبي الله لوط عليه السلام، ولما علم قومه بمجيئهم، قيل: أخبرتهم به زوجته الخائنة – جاءوا يبشر بعضهم بعضًا، يبشر بعضهم بعضًا، عياذًا بالله، بالأضياف كي يفعلوا معهم المحرم، فجاءوا مسرعين يطرقون على لوطٍ عليه السلام بأمه، فقال لهم مُذكرًا ﴿﴾ ضيوفي، وحق للضيف أن يُكرم، حقٌّ للضيف أن يُحافظ عليه ويُنزل أحسن المانزل فلا تفضحوني مع أضيافي ولا تحرجوني معهم وراقبوا الله واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بترك أذاي، وترك إهانة أضيافي ولا تخزوني مع أضيافي، فلم يستجيبوا له ولم يعبأوا به ولا بتذكيره، بل تمادوا في غيِّهم وضلالهم فقالوا له: ﴿﴾ عن استضافة أحدٍ من البشر فعندها عرض عليهم نبي الله لوط عليه السلام بناته للزوج بهن، قيل إنهن بنات لصلبه، وقيل: إنهن بنات قومه، فكل نبي بمثابة الوالد لقومه.

﴿﴾ أي: تزوجوهن إن كنتم تريدون الزواج والتعفف بالحلال الطيب.

ثم يُقسم الله تعالى بحياة نبيه ﷺ.

قال أكثر أهل العلم: إنه قسمٌ بحياة النبي محمد ﷺ، وقيل: إنه قسمٌ بحياة نبي الله لوط عليه السلام، والأول أشهر وعليه الأكثر.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمعناها لفي السُّكر الذي أصابهم بسبب الشهوة الجارفة يتحيرون ويترددون.

وقيل: لمعنى سكرتهم أي: لفي ضلالتهم يلعبون ويخوضونه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: فأخذتهم الصيحة عند شروق الشمس، والمراد

MOSTAFABDW.COM

بها: الصيحة الشديدة الصاعقة التي صعقتهم، وذلك في الصباح عند شروق الشمس فقلبنا بلادهم، جعلنا العالي منها هو الأسفل، والأسفل هو العالي، قلبناها رأسًا على عقب، وبعد أن قلبناها أتبعنا أهلها بحجارة من سجيل، من طين متحجر شديد متصلب ﴿﴾ العذاب الذي نزل بهم ﴿﴾ لدلالات وعلامات ﴿﴾ المتفكرين المتأملين المعتبرين ﴿﴾ أي: هذه البلاد التي دُمرت وأهلكت ﴿﴾ بطريق، أي: موجودة بطريق مقيم، لا يزال قائمًا موجودًا يراه المارة، إن في ذلك الذي حدث لهم لدلالة على قدرتنا ووحدانيتنا وشدة انتقامنا ممن خالفونا وعاندونا وكذبوا رسلنا، فيما حدث دلالة لأهل الإيمان يستدلون بها على ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿﴾، فتذكيرٌ أيضًا بأصحاب الأيكة، وهي الشجر العظيم الملتف، وهم قوم شعيب عليه السلام، كانوا أيضًا أهل ظلم وشرك وتطفيف للمكاييل والموازين، فانتقمنا منهم أيضًا كما انتقمنا من قوم لوط، ثم إن بلادهم وبلاد قوم لوط، تلك التي دُمرت وأُهلكت لموجودةٌ بطريق واضح يأتمون به في سفرهم ويهتدون به ويستدلون به على غيره.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول: وجاء أهل مدينة سَدُوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم في ركوب الفاحشة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) استبشروا بأضياف نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن

MOSTAFA.DW.COM

يأتوا إليهم من المنكر.

وقال في تأويل قوله تعالى : { قَالَ إِنَّ هَـؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) }.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في تركككم التعرّض لهم بالمكروه ، وقوله(وَاتَّقُوا اللهَ) يقول: وخافوا الله فيّ وفي أنفسكم أن يحلّ بكم عقابه(وَلا تُخْزُونِ) يقول: ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم ، بالتعرّض لهم بالمكروه(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره: قال للوط قومه: أو لم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) قال: ألم ننهك أن تضيف أحدا؟

وقال في تأويل قوله تعالى : { قَالَ هَـؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) }

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: تزوّجوا النساء فأتوهنّ، ولا تفعلوا ما قد حرّم الله عليكم من إتيان الرجال، إن كنتم فاعلين ما آمركم به ، ومنتهين إلى أمري.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) : أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته.

وقوله(لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش(لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يقول: لفي ضلالتهم

Nostradabiy.com

وجهلهم يتردّدون.

وأورد من طريقين عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوْزاء، عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى ذكره(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ).

وأورد نحوه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) وهي كلمة من كلام العرب، لفي سكرتهم: أي في ضلالتهم يعمهون: أي يلعبون.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري، يرونه كقوله: وَحَيَاتِي.

وقوله: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب، وهي الصيحة مشرقين: يقول: إذ أشرقوا، ومعناه: إذ أشرقت الشمس، ونصب مشرقين و مصبحين على الحال بمعنى: إذا أصبحوا، وإذ أشرقوا، يقال منه: صيح بهم، إذا أهلكوا.

وقال في تأويل قوله تعالى : { فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) } .

يقول تعالى ذكره: فجعلنا عالي أرضهم سافلها، وأمطرنا عليهم حِجارة من سجيل (١) .

وأورد بإسنادٍ سن عن قتادة، عن عكرمة: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أي من طين.

mostafalady.com

وقوله(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، يقول: فلقومك يا محمد في قوم لوط، وما حلّ بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم ، وتمادوا في غيهم ، وضلالهم، مَعْتَبَر.

وأورد الطبري بعض الطرق الضعيفة لحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله**».

وكذا أورد حديث: «**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**».

وقال في تأويل قوله تعالى : {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) }.

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سَدُوم، لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لبّ أمرها، وغبّ معصية الله، والكفر به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ يقول: بطريق واضح.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: إن في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم.

عن سعيد بن جبير، في قوله(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا.

وقال في تأويل قوله تعالى : { وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨)

MOSTAFALADY.COM

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩) }

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين، يقول: كانوا بالله كافرين ، والأيكة: الشجر الملتف المجتمع.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامَّة شجرهم هذا الدَّوْم. وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب صلى الله عليه وسلم، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذّبتا بعذابين شتى. أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة ، وأما أصحاب الأيكة، فكانوا أهل شجر متكاوس ، ذُكر لنا أنه سلَّط عليهم الحرّ سبعة أيام، لا يظللهم منه ظلّ ، ولا يمنعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة، فحَلُّوا تحتها يلتمسون الرَّوْح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا، بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلَّة، إنه كان عذاب يوم عظيم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة. وقوله(وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول: وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، والهاء والميم في قوله(وإنَّهُما) من ذكر المدينتين.(لَبِإمامٍ) يقول: لبطريق يأتمون به في سفرهم ، ويهتدون به(مُبِينٍ) يقول: يبين لمن ائتمّ به استقامته ، وإنما جعل الطريق إماما لأنه يُؤم ويُتَّبع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه (١) وصباحة وجوههم، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين، { قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا

MOSTAFALABY.COM

تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ }

وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله كما قال في سياق (٢) سورة هود، وأما هاهنا فتقدم ذِكرُ أنهم رسل الله، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم. ولكن الواو لا تقتضي الترتيب، ولا سيما إذا دل دليل (٣) على خلافه، فقالوا له مجيبين: { أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ } أي: أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا؟ فأرشدهم إلى نسائهم، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. وقد تقدم أيضا القول في ذلك، بما أغنى عن إعادته.

هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم، وما قد أحاط بهم من البلاء، وماذا يُصبحهم من العذاب المستقر؛ ولهذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض.

قال عمرو بن مالك النُّكْري (٤) عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: (٥) { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } [يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا " إنهم لفي سكرتهم يعمهون] (٦) رواه ابن جرير[(١)].

وقال قتادة: { فِي سَكْرَتِهِمْ } أي: في ضلالتهم، { يَعْمَهُونَ } أي: يلعبون.

يقول: تعالى: { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ } وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع (١) بلادهم إلى عَنان السماء ثم قلْبها، وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم.

---

(١) روى من طرق عن عمرو بن مالك عند الطبري وغيره.

وقد تقدم الكلام على السجيل في [سورة] (٢) هود بما فيه كفاية.

وقوله: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } أي: إن آثار هذه النقم ظاهرة (٣) على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته، كما قال مجاهد في قوله: { لِلْمُتَوَسِّمِينَ } قال: المتفرسين.

وأورد أقوالًا أُخر في تفسير المتوسمين، منها: المتأملين، ومنها: المعتبرين.

وأورد طرقًا ضعيفة لحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله**».

وكذا أورد حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: «**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**».

ثم قال:

وقوله: { وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ } أي: وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة لبطريق مَهْيَع مسالكه مستمرة إلى اليوم، كما قال تعالى: { وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

وأورد أقوالًا في تفسير: ﴿﴾ منها معلم، ومنها بطريق واضح.

... ثم قال:

وقوله: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } أي: إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإنجائنا لوطا وأهله، لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله.

{ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩) }.

MostafaAdw.com

أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب.

قال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: الأيكة: الشجر الملتف.

وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان. فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بَعْدَهم في الزمان، ومسامتين لهم في المكان؛ ولهذا قال تعالى: { وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ } أي: طريق مبين.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: طريق ظاهر؛ ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم: { وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ } .

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وجاء أهل المدينة) أي أهل مدينة لوط (يستبشرون) مستبشرين بالأضياف طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال إن هؤلاء ضيفي) أي أضيافي (فلا تفضحون) أي تخجلون (واتقوا الله ولا تخزون) يجوز أن يكون من الخزي وهو الذل والهوان ويجوز أن يكون من الخزاية وهو الحياء والخجل وقد تقدم في هود (قالوا أو لم ننهك عن العالمين) أي عن أن تضيف أحدا لأنا نريد منهم الفاحشة وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء عن الحسن وقد تقدم في الأعراف وقيل : أو لم ننهك عن أن تكلمنا في أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة (قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) أي فتزوجوهن ولا تركنوا إلى الحرام وقد تقدم بيان هذا في هود.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال القاضي أبو بكر بن العربي : قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له أن قومه من قريش في

Nosrafabdow.com

سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون قلت : وهكذا قال القاضي عياض : أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يامحمد وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده قال بن العربي : ما الذي يمنع أن يقسم الله سبحانه وتعالى بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء الله وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتى ضعفيه من شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم على الله منه أو لا ترى أنه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة وموسى التكليم وأعطى ذلك لمحمد فإذا أقسم بحياة لوط فحياة محمد أرفع ولايخرج من كلام إلى كلام لم يجر له ذكر لغير ضرورة.

وقال أيضًا:

قوله تعالى : (فأخذتهم الصيحة مشرقين) نصب على الحال أي وقت شروق الشمس يقال أشرقت الشمس أي أضاءت وشرقت إذا طلعت وقيل : هما لغتان بمعنى وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمسوا وهو المراد في هذه الآية وقيل : أراد شروق الفجر وقيل : أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والله أعلم والصيحة العذاب وتقدم ذكر سجيل [هود: ٨٢].

وقال:

قوله تعالى : (وإنها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) أي على طريق قومك يامحمد إلى الشام (إن في ذلك لآية للمؤمنين) أي لعبرة للمصدقين

(وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) يريد قوم شعيب كانوا أصحاب غياض ورياض وشجر مثمر والأيكة : الغيضة وهي جماعة الشجر والجمع الأيك ويروى أن شجرهم كان دوما وهو المقل قال النابغة :

تجلو بقاد متى حمامة أيكة بردا أسف لثاته بالإثمد

وقيل : الأيكة اسم القرية وقيل اسم البلدة وقال أبو عبيدة : الأيكة وليكة مدينتهم بمنزلة بكة من مكة وتقدم خبر شعيب وقومه (وإنهما لبإمام مبين) أي بطريق واضح في نفسه ويعني مدينة قوم لوط وبقعة أصحاب الأيكة يعتبر بهما من يمر عليهما.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى : { إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن فيما أوقع من النكال بقوم لوط آيات للمتأملين في ذلك تحصل لهم بها الموعظة والاعتبار والخوف من معصية الله أن ينزل بهم مثل ذلك العذاب الذي أنزل بقوم لوط لما عصوه وكذبوا رسوله . وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله في العنكبوت : { وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } وقوله في الذاريات : { وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ } وقوله هنا : { إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } وقوله في الشعراء بعد ذكر قصة قوم لوط : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ } ، كما صرح بمثل ذلك في إهلاك قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب في الشعراء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : { وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن ديار قوم لوط وآثار تدمير الله لها بسبيل مقيم أي بطريق ثابت يسلكه الناس لم

يندرس بعد ، يمر بها أهل الحجاز في ذهابهم إلى الشام ، والمراد أن آثار تدمير الله لهم التي تشاهدون في أسفاركم فيها لكم عبرة ومزدجر يوجب عليكم الحذر من أن تفعلوا كفعلهم لئلا ينزل الله بكم مثل ما أنزل بهم وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله : { وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } وقوله : { أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } . وقوله فيها وفي ديار أصحاب الأيكة : { وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ } ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقال السعدي رحمه الله:

{ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ } أي المدينة التي فيها قوم لوط { يَسْتَبْشِرُونَ } أي يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم وذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم فجاءوا حتى وصلوا إلى بيت لوط فجعلوا يعالجون لوطا على أضيافه ولوط يستعيذ منهم ويقول { إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ } أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع.

فـ { قَالُوا } له جوابا عن قوله ولا تخزون فقط: { أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ } أن تضيفهم فنحن قد أنذرناك، ومن أنذر فقد أعذر.

فـ { قَالَ } لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: { هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } فلم يبالوا بقوله ولهذا قال الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } وهذه السكرة هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يبالون معها بعذل ولا لوم.

فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق

والكرب، فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلا فنجوا، وأما أهل القرية { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ } أي: وقت شروق الشمس حين كانت العقوبة عليهم أشد، { فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا } أي: قلبنا عليهم مدينتهم، { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ } تتبع فيها من شذ من البلد منهم.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراسة، يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات.

{ وَإِنَّهَا } أي: مدينة قوم لوط { لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ } للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليله إبراهيم، فإن لوطا عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

وكذلك لوط عليه السلام، لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم قدَّر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: { إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب } ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية [ازداد] شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها بل جاءهم [ص ٤٣٤] نبيهم

شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، { فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ } فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. { وَإِنَّهُمَا } أي: ديار قوم لوط وأصحاب الأيكة { لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ } أي: لبطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله». وكذا حديث: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم»؟

ج: الحديثان كلاهما ضعيف، ولا يصحان عن رسول الله ﷺ أما الأول: فأخرجه الترمذي، والبخاري في التاريخ الكبير، والطبري وغيرهم[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

وله سند آخر عن أبي أمامة ضعيف أيضًا[٢]، أخرجه الطبراني وابن عدي وغيرهم، وفي سنده عبد الله بن صالح وهو ضعيف.

أما الحديث الآخر: «إن لله عبادًا...». وضعيف أيضًا، أخرجه الطبري والطبراني في الأوسط[٣] وغيرهما.

---

(١) الترمذي (٣١٢٧)، والبخاري في التاريخ (٧/ ٣٥٤) والطبري في تفسير الآية.

(٢) الطبراني (٨/ ١٠٢)، وابن عدي ترجمة عبد الله بن صالح (٤/ ٢٠٦).

(٣) الطبراني في تفسير الآية، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٠٧).

MOSTAFA.ARBW.COM

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا
مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ
مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ
﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا
تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ
﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ
وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ
﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ
ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الحجر: ٨٠-٩٩]

Mostafa.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْحِجْرِ - وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا - مُصْبِحِينَ - فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ - ٱلْخَلَّٰقُ - سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي - أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ - وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ - ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ - ٱلْمُقْتَسِمِينَ - عِضِينَ - فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ - ٱلْيَقِينُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْحِجْرِ﴾	سكان الحجر، وهو مكان بالحجاز (وهم قوم ثمود).
﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾	وآتيناهم بالمعجزات التي طلبوها من عندنا (كالناقة وغيرها).
﴿مُصْبِحِينَ﴾	في الصباح.
﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾	فأعرض عنهم الإعراض الجميل الذي ليست فيه، وليست معه مؤاخذات ولا عقاب.
﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾	الخلاق لكل المخلوقات - خالق كل الأشياء.
﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾	سبع آيات تتكرر، وهي فاتحة الكتاب، وقيل: السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وقيل: يونس، وقيل: الأنفال، وبراءة سورة واحدة.
﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾	أصنافًا منهم (فهذا الغنى، وهذا ذو المنصب وهذا الجميل وهذا المعاني الصحيح، وهذا ذو الأولاد والبنات، وهذا ذو الجاه والعشيرة...).

nosirabdw.com

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾	تواضع وكن لين الجانب، سهلًا سمحًا.
﴿ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾	المنذر الموضح للحقائق، والمحذر من العصيان، والنيران والعذاب الذي قد بيَّن لكم..
﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾	الذين أقسموا فيما بينهم على عداوة النبي ﷺ وأيضًا الذين تقاسموا القول في القرآن..
﴿عِضِينَ﴾	قطعًا، وفِرقًا، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقال فريق منهم: سحر، وقال آخرون: شعرٌ، وقال غيرهم: كذب وزور.
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾	متكلَّم بالحق الذي أمرت بإبلاغه وأظهر ذلك وشق به صفوف المشركين.
﴿ٱلۡيَقِينُ﴾	الحق الذي لا شك فيه، والمراد هنا الموت الذي به تتحقق من صحة ما أُخبرت به.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAMOSTAFA.COM

شيءٌ من ذِكر قبيلة ثمود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ولقد كذب أصحاب الحجر، وهم قوم ثمود، والحجر مكان معروف بالحجاز.

قيل: إنه قريب من تبوك، أو في الطريق إليها، كذب هؤلاء القوم الذين كانوا يسكنون هذا المكان وتلك الديار، ديار ثمود كذبوا رسولهم صالحًا عليه السلام، ومن كذب رسولًا فقد كذب الرسل كلهم، ذلك لان أصل دعوة المرسلين واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فمن ثَمَّ قيل: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، وآتيناهم آياتنا، أي: وجاءتهم آياتنا، والمعجزات التي طلبوها للاستدلال بها على نبوة نبي الله صالح عليه السلام، والتي من أعظمها الناقة التي أخرجها الله لهم بناء على طلبهم وكانت تشرب الماء، ماء البئر يومًا ويشربون لبنها يومًا، ناقةً عظيمة هائلة، وكما قال تعالى: ﴿﴾، وكذا آتيناهم غيرها من الآيات والنعم فكذبوا بذلك كله وأعرضوا عن الإيمان، وكان من نعم الله عليهم أن رزقهم قوةً في الأبدان فكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا، وهم في مأمنٍ، مأمنٍ من سقوطها عليهم، وكذا مأمنٍ من عدوهم، وكذا مأمن في بيوتهم، وكذا في مأمنٍ من عذاب الله عز وجل، فكذبوا - كما سلف- بذلك كله وعقروا الناقة وأظهروا التحدي، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأخذتهم الصيحة، الصوت الشديد القاتل الذي دمرهم في الصباح بعد ثلاثة أيام من عقرهم الناقة، فما نفعهم عملهم ولا

Mostafalabib.com

كسبهم ولا دفعت عنهم قوتهم من عب الله من شيء، ولا نفعتهم تلك البيوت التي كانوا ينحتونها في الجبال.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد كذب سكان الحجر، وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها، كما قال تعالى ذكره: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) فجعلهم أصحابها لسُكناهم فيها ومقامهم بها. والحجر: مدينة ثمود.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن عمر قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثم زجر فأسرع حتى خلفها**».

وقوله (وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا، فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، (يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. وقيل: آمنين من الموت. وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وُعدوا العذاب، وقيل لهم: تَمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام. وقوله (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

mostafabdw.com

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصحاب الحجر هم: ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين؛ ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

وذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء فكانت (١) تسرح في بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم. فلما عتوا وعقروها قال لهم: {تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب} [هود: ٦٥] وقال تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى} [فصلت: ١٧]

وذكر تعالى: أنهم {كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين} أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرا وبطرا وعبثا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك فقنع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: "لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم" (٢)

وقوله: {فأخذتهم الصيحة مصبحين} أي: وقت الصباح من (٣) اليوم الرابع، {فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون} أي: ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة، حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وآتيناهم آياتنا) أي بآياتنا كقوله:" آتنا غداءنا «١» " أي بغذائنا. والمراد الناقة، وكان فيها آيات جمة: خروجها من الصخرة، ودنو

MOSTAFALABIBY.COM

نتاجها عند خروجها، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعا. ويحتمل أنه كان لصالح آيات أخر سوى الناقة، كالبئر وغيره. (فكانوا عنها معرضين) أي لم يعتبروا.

وقال أيضًا:

النحت في كلام العرب: البري والنجر. نحته ينحته (بالكسر «٢» نحتا أي براه. والنحاتة البراية. والمنحت ما ينحت به. وفي التنزيل" أتعبدون ما تنحتون «٣» " أي تنجرون وتصنعون. فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لأنفسهم بشدة قوتهم. (آمنين) أي من أن تسقط عليهم أو تخرب. وقيل: آمنين من الموت. وقيل: من العذاب. (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي في وقت الصبح، وهو نصب على الحال. (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من القوة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه آتى أصحاب الحجر ـ وهم ثمود ـ آياته فكانوا عنها معرضين. والإعراض: الصدود عن الشيء وعدم الالتفات إليه؛ كأنه مشتق من العرض ـ بالضم ـ وهو الجانب؛ لأن المعرض لا يولي وجهه بل يثني عطفه ملتفتاً صاداً.

ولم يبين جل وعلا هنا شيئًا من تلك الآيات التي آتاهم، ولا كيفية إعراضهم عنها، ولكنه بين ذلك في مواضع أُخر، فبين أن من أعظم الآيات التي آتاهم: تلك الناقة التي أخرجها الله لهم، بل قال بعض العلماء إن في الناقة المذكورة آيات جمة كخروجها عشراء وبراء جوفاء من صخرة صماء، وسرعة

MOSTAFALABIB.COM

ولادتها عند خروجها، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعًا، وكثرة شربها؛ كما قال تعالى: {لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [٢٦/ ١٥٥]، وقال: {وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ} [٥٤/ ٢٨].

فإذا علمت ذلك، فاعلم أن مما يبين قوله هنا: {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا} [١٥/ ٨١]، قوله: {فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [٢٦/ ١٥٤-١٥٥]، وقوله: {قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} الآية [٧/ ٧٣]، وقوله: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} الآية [١٧/ ٥٩]، وقوله: {إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ} [٥٤/ ٢٧]، وقوله: {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} [١١/ ٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبين إعراض قوم صالح عن تلك الآيات في مواضع كثيرة؛ كقوله: {فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [٧/ ٧٧]، وقوله: {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ} الآية [١١/ ٦٥]، وقوله: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا...} الآية [٩١/ ١١-١٤]، وقوله: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [٥٤/ ٢٩]، وقوله: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} [١٧/ ٥٩]، وقوله: {قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} الآية [٢٦/ ١٨٥-١٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا، ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به، {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا} الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، التي من جملتها: تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة.

{فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} كبرا وتجبرا على الله، {وَكَانُوا} من كثرة إنعام الله عليهم {يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ} من المخاوف مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدرَّ الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنهم -لما كذبوا وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: {يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين}.

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} فتقطعت قلوبهم في أجوافهم وأصبحوا في دارهم جاثمين هلكى، مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} لأن أمر الله إذا جاء لا يرده كثرة جنود، ولا قوة أنصار ولا غزارة أموال.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: آمنين أن تقع عليهم.

والثاني: آمنين من خرابها.

MOSTAFAABDO.COM

والثالث: من عذاب الله ﷻ، وفي قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ قولان:

أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال.

والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدِّق وعقاب المكذِّب. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جزع وفُحش. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في قوم ثمود وفي الحجر؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري[١] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، «لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا» ، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، «فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ المَاءَ».

وأخرج البخاري[٢] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

---

(١) البخاري (٣٣٧٨).

(٢) البخاري (٣٣٨٠).

MOSTAFABOOKS.COM

ج: المعنى - والله أعلم-: وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ولإقامة العدل كذلك لنجازي المحسن بإحسانه، والمسيء يحاسب على إساءته، وكذلك خلقناهما وما بينهما للحق، لإقامة الحق، لعبادة الإله الحق وحده لا شريك له، وقيل: خلقناهما للزوال والفناء، وقيل: ما خلقناهما عبثًا ولا لعبًا ولا باطلًا، إنما خلقناهما لحكمة نعلمها، وخلقنا البادكي يعبدوننا كما قال تعالى: ﴿﴾.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: القيامة، ﴿﴾ لكائنة في يوم معلومس عند الله ﷻ ﴿﴾ تجاوز عنهم التجاوز الحسن، وأعرض عنهم واصبر على أذاهم ﴿﴾ لكل الأشياء، وهذا دال على قدرته ﷻ، فالذي خلق الخلق كلهم قادر على بعثهم بعد موتهم، أما قوله: الصيحة، أي: العليم بكل مخلوقاته، الذي أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء علمًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها، سماءها وأرضها، ما فيهما وما بينهما، يعني بقوله (وَمَا بَيْنَهُمَا) مما في أطباق ذلك (إِلا بِالْحَقِّ) يقول: إلا بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك: أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصّ قَصَصَهَا في هذه السورة، وقصص إهلاكه إياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به، فيعذّبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحقّ والعدل. وقوله (وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن الساعة، وهي الساعة

MOSTAFAALBOW.COM

التي تقوم فيها القيامة لجائية، فارض بها لمشركي قومك الذين كذّبوك، وردّوا عليك ما جئتهم به من الحقّ، (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول: فأعرض عنهم إعراضا جميلا واعف عنهم عفوًا حسنا وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى ذكره: إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كلّ شيء، وهو عالم بهم وبتدبيرهم، وما يأتون من الأفعال، وكان جماعة من أهل التأويل تقول: هذه الآية منسوخة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ثم نسخ ذلك بعد، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، لا يقبل منهم غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق} أي: بالعدل؛ {ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى} [النجم: ٣١] وقال تعالى: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار} [ص: ٢٧] وقال {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم} [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

ثم أخبر نبيه بقيام الساعة، وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين، في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم (٤) به، كما قال تعالى: {فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون} (٥) [الزخرف: ٨٩]

وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال. وهو كما قالا فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة.

MostafaAbiw.com

وقوله: {إن ربك هو الخلاق العليم} تقرير للمعاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق ما يشاء، وهو العليم بما تمزق (١) من الأجساد، وتفرق (٢) في سائر أقطار الأرض، كما قال تعالى: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون} [يس: ٨١-٨٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي للزوال والفناء. وقيل: أي لأجازي المحسن والمسيء، كما قال:" ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا «١» بالحسنى". (وإن الساعة لآتية) أي لكائنة فيجزى كل بعمله. (فاصفح الصفح الجميل) مثل" واهجرهم هجرا جميلا «٢» " أي تجاوز عنهم يا محمد، وأعفو عفوا حسنا، ثم نسخ بالسيف. قال قتادة: نسخه قوله:" فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم «٣» ". وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم:" لقد جئتكم بالذبح وبعثت بالحصاد «٤» ولم أبعث بالزراعة"، قاله عكرمة ومجاهد. وقيل: ليس بمنسوخ، وأنه أمر بالصفح في نفسه فيما بينه وبينهم. والصفح: الإعراض، عن الحسن وغيره. إن ربك هو الخلاق) أي المقدر للخلق والأخلاق «٥» . العليم بأهل الوفاق والنفاق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا

بالحق؛ أي ليدل بذلك على أنه المستحق لأن يعبد وحده، وأنه يكلف الخلق ويجازيهم على أعمالهم.

فدلت الآية على أنه لم يخلق عبثًا ولا لعبًا ولا باطلاً، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة، كقوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [٣٨/ ٢٧]،وقوله {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [٣/ ١٩١]، وقوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} الآية [٤٤/ ٣٨-٣٩]، وقوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [٢٣/ ١١٥، ١١٦]، وقوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [٥٣/ ٣١]، وقوله: {أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى} [٧٥/ ٣٦، ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ما خلقناهما عبثا وباطلا كما يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناهما {إِلا بِالْحَقِّ} الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، {وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ} لا ريب فيها لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى

MOSTAFABABY.COM

أحسن مما ذكرت هنا.

وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ} لكل مخلوق {الْعَلِيمُ} بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات.

❁ ❁ ❁

المراد بالسبع المثاني

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾؟

ج: هذا - والله أعلم -: امتنان من الله ﷻ على رسوله ﷺ وبيان لفضله تبارك وتعالى عليه فقال له: ﴿﴾ ومن ثَمَّ، ولكوننا تفضلنا عليك بهذا الخير العظيم فلا تنظرن إلى ما في أيدي أصناف البشر من المتاع الذي مُتعوا به في دنياهم فما آتيناك خيرٌ وأفضل مما آتيناهم، فلا تغتر بدنياهم ولا تحزن على تماديهم في الكفر، فالله عليم بهم، وتواضع لأهل الإيمان وأقبل عليهم وجالسهم وكن سهلًا لينًا معهم.

أما السبع المثاني فللعلماء فيها أقوال:

القول الأول: والذي تشهد له الأدلة المرفوعة عن رسول الله ﷺ أنها الفاتحة (فاتحة الكتاب)، فمن الأدلة على ذلك ما أخرجه البخاري[1] من

(١) البخاري (٤٧٠٣)، و(٤٤٧٤).

حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟**» فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

وما أخرجه[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**».

القول الثاني: أن المراد بالسبع المثاني السبع سور الطوال ثم اختلف في تعيينها، بعد الاتفاق على بيان أكثرها فمن العلماء من قال هي، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف فهذه ستة.

أما السابعة: فقيل هي الانفال وبراءة (كسورة واحدة) ومن العلماء من قال أنها سورة يونس هذا، ومن الذين قالوا إن السبع المثاني هي السبع الطوال، ابن عباس رضي الله عنهما فقد روى ذلك عنه من وجوه متعددة عند الطبري[2] وغيره، وفي بعض الروايات عنه: هن السبع الطُّول، ولم يعطهن أحد إلا النبي ﷺ، وأعطى موسى منهن اثنتين، وفي بعض الروايات عنه، وأوتي موسى ستًّا، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع، وقد ورد القول بأنها السبع الطوال عن ابن مسعود كذلك، لكنه من طريق ابن سيرين عنه، ورواية عنه منقطعة، وصح

---

(١) البخاري (٤٧٠٤).

(٢) وأخرجه أيضًا أبو داود (١٤٥٩)، والنسائي (٢/ ١٣٩-١٤٠)، وغيرهما، وقد روي عن ابن عباس من طريق ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عنه أنها الفاتحة.

القول عن سعيد بن جبير بأنها الطول...جعل السابعة سورة يونس، أخرجه الطبري وغيره عنه.

وكذا روى عن مجاهد من غير وجهٍ وعن غيرهم أيضًا.

والقول الثالث: أن المراد بالسبع المثاني معاني القرآن إجمالًا فتتلخص في سبع، وهي:

الأوامر، والنواهي، والبشارات، والإنذار، وضرب الأمثال، وتعديد النعم، وأخبار القرون والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمن العلماء من جعلا لقرآن العظيم المراد به هنا الفاتحة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (والقرآن العظيم) فيه إضمار تقديره: وهو أن الفاتحة القرآن العظيم لاشتمالها على ما يتعلق بأصول الإسلام. وقد تقدم «٢» في الفاتحة. وقيل: الواو مقحمة، التقدير: ولقد آتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم. ومنه قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقد تقدم عند قوله:" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ".

وقال آخرون من أهل العلم: ما حاصله أن القرآن العظيم هو سائر القرآن مع الفاتحة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

MostafaAdwy.com

أما لماذا أطلق على الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، فقد قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان:

وقيل لها "مثاني" لأنها تثنى قراءتها في الصلاة.

وقيل لها "سبع" لأنها سبع آيات.

وقيل لها "القرآن العظيم" لأنها هي أعظم سورة؛ كما ثبت عن النَّبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المذكور آنفًا.

وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني مع أن المراد بهما واحد، وهو الفاتحة، لما علم في اللغة العربية: من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ ومنه قوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} [٨٧/ ١-٤]، وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

هذا، والقرآن كله يطلق عليه مثاني باعتبار تكرير المعاني الهامة فيه فترى التحذير من النار يتكرر والتذكير بالجنة يتكرر، وكذا التذكير بعبادة الله وحده لا شريك له والأمر بعبادته، وكذا بر الوالدين، وكذا كثيرٌ من القصص، وقد قال تعالى: ﴿﴾ الآية.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، بعد أن أورد بعض أقوال العلماء في السبع المثاني، وكذا أورد الأحاديث عن رسول الله ﷺ في كونها الفاتحة.

فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك، لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضا، كما قال تعالى: {الله نزل أحسن الحديث

كتابا متشابها مثاني} [الزمر: ٢٣] فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم

أيضا، كما أنه، عليه السلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة، والله أعلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأورد حديث أبي هريرة المتقدم في كونها الفاتحة، وكذا حديث أبي سعيد بن المعلى، ثم قال فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما يَثْنِي بعض آيه بعضا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مَثْناة، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك، لأن بعضها يَثْنِي بعضا، وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها. فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها، كما وصفها به تعالى ذكره فقال (اللهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك أن القرآن إنما قيل له مَثَانِي لأن القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصريّ أنها إنما سميت مَثاني لأنها تُثْنَي في كلّ قراءة، وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مثاني، لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله

عليه وسلم دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سميت مَثَانِيَ لأن فيها الرحمن الرحيم مرّتين، وأنها تُثْنَى في كلّ سورة، يعني: بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا، وقد أورد ابن الجوزي في زاد المسير في سبب تسميته الفاتحة بالسبع المثاني أقوالًا فقال:

وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال:

أحدها: لأن الله استثناها لأمة محمد ﷺ، فلم يعطِها أمةً قبلهم، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: لأنها تُثنَّى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة، وإنما دخلت «مِنْ» للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد ١٥]. وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثانيَ، لأنها تُثنَّى في كل صلاة.

والثالث: لأنها ما أُثني به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذِكر مملكته، ذكره الزجاج.

والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها.

والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة: «**قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي**»[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٦) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ١]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ:

والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل.

والسابع: لأن كلماتها مثنّاة، مثل: الرحمن الرحيم، إِياك إِياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير، ذكره بعض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في حيِّزٍ، والقرآن كله في حيِّزٍ، وامتنَّ عليه بها امتنَّ عليه بالقرآن كله.

أما عن سائر معنى الآيتين المباركتين.

فقد قال الطبري رحمه الله تعالى:

في تأويل قوله تعالى: {لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) }

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما مُتعوا به فعجّل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلانٌ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرآن**"(١): أي من لم يستغن به، ويقول: ألا

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٧] **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

(١) قلت (مصطفى): وهذا الخبر معلولٌ، ومنتقد على البخاري، انتقده عليه الدارقطني في التتبع،

تراه يقول (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظَّم صغيرا وصغَّر عظيما.

وقوله (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وألِن لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقرِّبهم منك، ولا تجف بهم، ولا تَغْلُظ عليهم، يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان، ومنه قول الله تعالى ذكره (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) قيل: معناه: إلى ناحيتك وجنبك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه، فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك، ومخالفتهم دينك. {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} [الشعراء: ٢١٥] أي: ألن لهم جانبك (٣) كما قال تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [التوبة: ١٢٨].

وقال:

وقوله: {لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم} أي: استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية.

وصُوّب اللفظ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به».

ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح[١]: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» إلى أنه يستغنى به عما عداه، وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: {لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ}، لما بين تعالى أنه آتى النَّبي صلى الله عليه وسلم السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله تعالى، نهاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار؛ لأن من أعطاه ربه جل وعلا النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، ولاسيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار، وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع؛ كقوله في "طه": {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [٢٠/ ١٣٠-١٣٢]، والمراد بالأزواج هنا: الأصناف من الذين متعهم الله بالدنيا.

قوله تعالى: {وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}، الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام، ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم؛ كقوله: {وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [١٦/ ١٢٧]، وقوله: {فَلا

(١) البخاري (٧٥٢٧) وهو معلول كما تقدم.

تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [٣٥/ ٨]، وقوله: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [٢٦/ ٣]، وقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [١٨/ ٦]، وقوله: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [٥/ ٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والمعنى: قد بلغت ولست مسؤولاً عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء.

قوله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}، أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين، وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح فلاتك في رفعه أجدلا

وبين هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله في "الشعراء": {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [٢٦/ ٢١٥]، وكقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [٣/ ١٥٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

فأما قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ففي «مِن» قولان:

أحدهما: أنها للتبعيض، فيكون المعنى: آتيناك سبعًا من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن.

والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج،

وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريبًا من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ يعني: العظيم القَدْر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحيُه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيكون عطف " القرآن العظيم " على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها.

وعلى القول بأن " الفاتحة " هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} ولذلك قال بعده: {لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغترَّ بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، {وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، فلك في المؤمنين عنهم أحسن البدل وأفضل العوض، {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} أي: ألن لهم جانبك، وحسِّن لهم خلقك، محبة وإكراما وتودُّدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: وقل يا رسول الله لمن أرسلت إليهم، وكفروا بالله وكذبوك وجحدوا وحدانية الله ﷻ، إني أنا المنذر الذي يبين لكم ماذا سيحل بكم إن أنتم خالفتم أمر ربكم ﷻ وأقمتم على كفركم، أنذركم عذابًا كالعذاب الذي أُنزل على المقتسمين.

وأنذركم إنذارًا كالذي أُنذره المقتسمون، أما من المقتسمون؟ فللعلماء في ذكرهم أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، ومعنى قوله تعالى: ﴿﴾ أي: الذين فرَّ قوة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

الثاني: أنهم مشركوا قريش والأحزاب الكافرة الذين تقاسموا فيما بينهم على عداوة النبي ﷺ وأقسموا كذلك على أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، قال تعالى: ﴿﴾.

وقوله: ﴿﴾ أي: تكلموا فيه بكلام متفرق مختلف، فقال فريق منهم: إنه سحرٌ، وقال آخرون: إنه شعرٌ، وقال آخرون: إنها أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملي عليه بكرة وأصيلًا.

القول الثالث: أن المقتسمين هم قوم صالح الذين ﴿﴾.

وكونهم جعلوا القرآن عضين، أي: كذبوا رسولهم في أمور يتلوها عليهم مما أوحاه الله إليه، وصدقوا وكذبوه في أكثرها ووصفوها بأنه سحر، أو أنها مقولات مجنون.

القول الرابع: أنهم قوم من مشركي قريش اقتسموا طرفات قلة وفجاجها لاستقبال من جاء يريد الإسلام أو الحج وتواصوا بينهم أن كلًّا منهم يقول في رسول الله ﷺ قولًا، ففريق يقولون: مجنون، وفريق يقولون: ساحر، وفريق

ARCHIVE.ALMOSTAFA.COM

يقولون: شاعرٌ، وفريق يقولون: كذاب إلى غير ذلك من الأقوال، فهذا جعلهم القرآن عضين، أي: افترقت الآراء فيه، ففريق يقول شعر، وآخرون يقولون: سحر، وآخرون يقولون: كذب، وآخرون يقولون: كهانة، وآخرون يقولون أساطير الأولين.

قال تعالى: ﴿﴾ يُقسم ربنا ﷻ بنفسه الكريمة ﴿﴾ عما كانوا يقولون في القرآن، وفي الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن شركهم وفسقهم وفجورهم، ومما يسألون عنه قول لا إله إلا الله.

فإن قيل كيف، وقد قال تعالى: ﴿﴾، وقال: ﴿﴾.

فحاصل الجواب على ذلك أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع ففي موقف يسألون، وفي آخر: لا يسألون، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿﴾ أي: سؤال الاستعتاب، أو سؤال التلطف، إنما إذا سُئل يسأل للتأنيب ويُسأل للتوبيخ والإهانة، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر عمومًا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد للمشركين: إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم، كما أنزلنا على المقتسمين: يقول: مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن، فجعلوه عِضين.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله (الْمُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم: عني به: اليهود والنصارى، وقال: كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

MOSTAFAALBAY.COM

وأورد بسندٍ صحيح[١] عن ابن عباس، في قوله الله: (كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال: هم اليهود والنصارى، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

وأورد نحوه بسندٍ صحيح عن سعد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال آخرون: (الْمُقْتَسِمِينَ) أهل الكتاب، ولكنهم سموا المقتسمين، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن: هذه السورة لي، وقال بعضهم: هذه لي.

وقال آخرون: هم أهل الكتاب، ولكنهم قيل لهم: المقتسمون: لاقتسامهم كتبهم، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها، وكفره ببعض، وكفر آخرين بما آمن به غيرهم، وإيمانهم بما كفر به الآخرون.

وقال آخرون: عُنِي بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم.

وقال آخرون: عُنِي بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) قال: الذين تقاسموا بصالح، وقرأ قول الله تعالى (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) قال: تقاسموا بالله حتى بلغ الآية.

قال الطبري:

وقال بعضهم: هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاجّ عليهم، كان أهلها بعثوهم في عقابها، وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأله عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم، أن يقول:

---

(١) وهو عند البخاري أيضًا وسيأتي إن شاء الله.

Mostafabdo.com

هو مجنون، وإلى آخر: إنه شاعر، وإلى بعضهم: إنه ساحر.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم قومه الذين عضَّوا القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته، أن يَحُلّ بهم على كفرهم ربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم، وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، لأنهم اقتسموا كتاب الله، فأقرّت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عُنِي بذلك: المشركون من قريش، لأنهم اقتسموا القرآن، فسماه بعضهم شعرا، وبعض كهانة، وبعض أساطير الأوّلين. وجائز أن يكون عُنِيَ به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه، فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله، كانوا عبرة، وللمتعظين بهم منهم عِظَة.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) فقال بعضهم: معناه: الذين جعلوا القرآن فِرَقا مفترقة.

وأورد أثر ابن عباس المتقدم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) عضهوا كتاب

الله، زعم بعضهم أنه سِحْر، وزعم بعضهم أنه شِعْر، وزعم بعضهم أنه كاهن.

قال أبو جعفر: هكذا قال كاهن، وإنما هو كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين.

وأورد الطبري أقوالًا أُخر ثم قال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِم قوما عَضَهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بِعضْهِهِمْ إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين، وكان عَضْهُهُم إياه: قذفهموه بالباطل، وقيلهم إنه شعر وسحر، وما أشبه ذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عِضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان.

وأورد آثارًا كثيرة أنهم يُسألون عن قول لا إله إلا الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يأمر تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقول للناس: إنه {النذير المبين} البين النذارة، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها، وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام.

MostafaAbdy.com

وقوله: {المقتسمين} أي: المتحالفين، أي: تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم، كما قال تعالى إخبارا عن قوم صالح أنهم: {قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله} [النمل: ٤٦] أي: نقتلهم ليلا قال مجاهد: تقاسموا: تحالفوا.

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت} [النحل: ٣٨] {أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال} [إبراهيم: ٤٤] {أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة} [الأعراف: ٤٩] فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه، فسموا مقتسمين.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقتسمون أصحاب صالح، الذين تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[1]، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، وَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحهم الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وكَذب مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**».

وقوله: {الذين جعلوا القرآن عضين} أي: جزؤوا كتبهم المنزلة عليهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وأورد ما أخرجه البخاري[2] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: {جَعَلُوا الْقُرْآنَ

---

(١) البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٦٤٨٢).

(٢) البخاري (٤٧٠٥).

عِضِينَ} قال: هم أهل الكتاب، جَزَّؤوه أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ هذا سؤال توبيخ، يُسأَلون عما عملوا في ما أُمروا به من التوحيد والإيمان، فيقال لهم: لم عصيتهم وتركتم الإيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعذّر الجواب. قال أبو العالية: يُسأَل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتين: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسَلين.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] فعنه جوابان:

أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟

والثاني: أنهم يُسأَلون في بعض مواطن القيامة، ولا يُسأَلون في بعضها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الكلام حذف، أي إني أنا النذير المبين عذابا، فحذف المفعول، إذ كان الإنذار يدل عليه، كما قال في موضع آخر:" أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد «٣» وثمود". قيل: الكاف زائدة، أي أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين، كقوله:" ليس كمثله شيء «٤» " أنذرتكم مثل ما أنزلنا بالمقتسمين. وقيل: المعنى كما أنزلنا على المقتسمين، أي من العذاب وكفيناك المستهزئين، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن وقيل المشركين الذين بغوا، فإنا كفيناك أولئك الرؤساء الذين كنت تلقى منهم ما تلقى. واختلف في" المقتسمين" على أقوال سبعة: الأول- قال مقاتل والفراء: هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة

MOSTAFALABIB.COM

أيام الموسم فاقتسموا أعقاب «١» مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن. وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شر ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صدق أولئك. الثاني- قال قتادة: هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا، وبعضه سحرا، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين. الثالث- قال ابن عباس: هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وكذلك قال عكرمة: هم أهل الكتاب، وسموا مقتسمين لأنهم كانوا مستهزئين، فيقول بعضهم: هذه السورة لي وهذه السورة لك. وهو القول الرابع. الخامس- قال قتادة: قسموا كتابهم ففرقوه وبددوه وحرفوه. السادس- قال زيد بن أسلم: المراد قوم صالح، تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين، كما قال تعالى:" تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله»". السابع- قال الأخفش: هم قوم اقتسموا أيمانا تحالفوا عليها. وقيل: إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: (فو ربك لنسئلنهم أجمعين) أي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا. وفي البخاري: وقال عدة من أهل العلم في قوله:" فو ربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون" عن لا إله إلا الله.

قلت: والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه في كتاب (التذكرة) .

فإن قيل: وهل يسأل الكافر ويحاسب؟ قلنا: فيه خلاف وذكرناه في التذكرة. والذي يظهر سؤال، للآية وقوله:" وقفوهم إنهم مسؤلون «١» " وقوله:" إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم «٢» ". فإن قيل: فقد قال تعالى: " ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون «١» " وقال:" فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان «٢» "، وقال:" ولا يكلمهم «٣» الله"، وقال:" إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون «٤» ". قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، موطن لا يكون ذلك فيه. قال عكرمة: القيامة مواطن، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام هل عملتم كذا وكذا، لأن الله عالم بكل شي، ولكن يسألهم سؤال تقريع وتوبيخ فيقول لهم: لم عصيتم القرآن وما حجتكم فيه؟ واعتمد قطرب هذا القول. وقيل:" لنسئلنهم أجمعين" يعني المؤمنين المكلفين، بيانه قوله تعالى:" ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم «٥» ". والقول بالعموم أولى كما ذكر. والله أعلم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ}، في المراد بالمقتسمين أقوال للعلماء معروفة، وكل واحد منها يشهد له قرآن؛ إلا أن في الآية الكريمة قرينة تضعف بعض تلك الأقوال:

الأول: أن المراد بالمقتسمين: الذين يحلفون على تكذيب الرسل ومخالفتهم، وعلى هذا القول فالاقتسام افتعال من القسم بمعنى اليمين، وهو بمعنى التقاسم.

ومن الآيات التي ترشد لهذا الوجه قوله تعالى عن قوم صالح: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ...} الآية [٢٧/ ٤٩]، أي: نقتلهم ليلاً، وقوله:

MOSTAFABOOK.COM

{وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ} [١٦/ ٣٨]، وقوله: {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [١٤/ ٤٤]، وقوله: {أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ} [٧/ ٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات، فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه؛ فسموا مقتسمين.

القول الثاني: أن المراد بالمقتسمين: اليهود والنصارى، وإنما وصفوا بأنهم مقتسمون؛ لأنهم اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها.

ويدل لهذا القول قوله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} الآية [٢/ ٨٥]، وقوله: {وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ} الآية[٤/ ١٥٠].

القول الثالث: أن المراد بالمقتسمين: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلفه محمد، صلى الله عليه وسلم.

وهذا القول تدل له الآيات الدالة على أنهم قالوا في القرآن تلك الأقوال المفتراة الكاذبة، كقوله تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} [٦٩/ ٤١، ٤٢]، وقوله: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [٧٤/ ٢٤]، وقوله: {إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ} [٣٨/ ٧]، وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [١٦/ ٢٤]، وقوله: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [٢٥/ ٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

والقرينة في الآية الكريمة تؤيد هذا القول الثالث، ولا تنافي الثاني بخلاف

الأول؛ لأن قوله: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} [١٥/ ٩١]، أظهر في القول الثالث، لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة، كقولهم: شعر، سحر، كهانة، الخ.

وعلى أنهم أهل الكتاب: فالمراد بالقرآن كتبهم التي جزؤوها فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها، أو القرآن؛ لأنهم آمنوا بما وافق هواهم منه وكفروا بغيره.

وقوله {عِضِينَ} [١٥/ ٩١]، جمع عضة، وهي العضو من الشيء، أي: جعلوه أعضاء متفرقة، واللام المحذوفة أصلها واو. قال بعض العلماء: اللام المحذوفة أصلها هاء، وعليه فأصل العضة عضهة. والعضه: السحر؛فعلى هذا القول فالمعنى:جعلوا القرآن سحراً؛كقوله: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [٧٤/ ٢٤]،وقوله: {قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} [٢٨/ ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والعرب تسمي الساحر عاضها، والساحرة عاضهة، والسحر عضها، ويقال: إن ذلك لغة قريش؛ ومنه قول الشاعر:

أعوذ بربي من النافثا ت في عقد العاضه المعضه

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ} أي: قم بما عليك من النذارة وأداء الرسالة والتبليغ للقريب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء.

وقوله: {كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.

MOSTAFAADEL.COM

{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} أي: أصنافا وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول: سحر ومنهم من يقول: كهانة ومنهم من يقول: مفترى إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قدحهم فيه ليصدوا الناس عن الهدى.

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا يعملون.

❁ ❁ ❁

ما العمل عند استهزاء المستهزئين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: فبلِّغ ما أمرت بتبليغه، بلاغًا واضحًا، بلاغًا تفرق بين الحق والباطل تصدع به صفوف المشركين، وأعرض عن من استمر منهم على شركه، وأعرض عن أهل الشرك ولا تُبالي بهم ولا تلفت إليهم ولا تعبأ بهم، فقد كفيناك شرهم وحفظناك من هؤلاء الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، كفيناك شرور هؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعبدوا مع الله ﷻ آلهة أُخرى، فسوف يعلمون عاقبة شركهم وعاقبة كفرهم وبطلان ما هم عليه.

ثم يُواسي الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿﴾ بما يصفونك به إذ يقولون ساحر،

mostafawy.com

ويقولون: شاعرٌ، ويقولون: كذاب، ويقولون: كاهنٌ ومجنون إلى غير ذلك من مقولاتهم الباطلة.

فهذا القول منهم يا رسول الله لا يخفى علينا، ولا يخفى علينا ضيق صدرك بسببه فأكثر من ذِكر الله ﷻ وتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره، فإن ذلك يُذهب ما بصدرك من ضيق وهم وغم، وكذا صل مع المصلين، فالأذكار والصلاة من أنفع العلاجات لضيق الصدر، ولإذهاب الهموم والغموم، وقد قال تعالى: ﴿﴾ وقال تعالى: ﴿﴾.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمعناه: فاستمر في عبادة ربك ﷻ واثبت على ذلك حتى يأتيك الموت فعبادة الله وطاعته والخضوع له والسمع والطاعة، كل ذلك يلازمك حتى الموت، وكذلك الصلاة له كما قال عيسى عليه السلام: ﴿﴾ فاليقين هو الموت. كما سيرد في قول النبي ﷺ في شأن عثمان بن مظعون لما مات: «**أمَا هو فقد جاءه اليقين من ربه**».

ويمكن أن يحمل قوله: ﴿﴾، أي: حتى يأتيك ما تتيقن به أن ما أُخبرت به من ملائكة الموت وقبضهم حق وذلك عند حضور موتك. والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

ويعنى بقوله: ﴿﴾ فأمض وأفرُق.

وأورد عن ابن عباس بأسانيد فيها مقال ﴿﴾ فأمضه، وفي رواية: افعل ما تؤمر.

وعن ابن زيد بسندٍ صحيح: ﴿﴾ قال: بالقرآن الذي يوحى إليه أن يبلغهم إياه.

قال الطبري:

MOSTAFAADAWY.COM

وأما قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ويقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: بلغ قومك ما أرسلتَ به، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم. وذلك قيل أن يفرض عليه جهادهم، ثم نَسَخَ ذلك بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين. وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين.

وأورد بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال: كان المستهزئين: الوليدُ بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن عيطلة.

وقوله (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُون) وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره: إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك، الجاعلين مع الله شريكا في عبادته، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يَحُلّ بهم من البلاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) } .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يُحْرِجك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول:

Nostradamus.com

فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمّك، وهذا نحو الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا حَزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة.

وقال في تأويل قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)}

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو مُوقَن به. وقيل: يقين، وهو موقَن به، كما قيل: خمر عتيق، وهي معتَّقَة.

وأورد عدة آثار في معنى ﴿اليقين﴾ وأنه الموت.

وأورد حديث أم العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قُرْعة قالت: وطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوَجع وجعه الذي مات فيه، فلما تُوُفِّي وغسِّل وكُفِّن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ، وَوَاللهِ إنّي لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ**»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: {وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين} أي: بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله. {ودوا لو تدهن فيدهنون} [القلم: ٩] ولا تخفهم؛ فإن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم، كما قال تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} [المائدة: ٦٧]

---

(١) وأخرجه أيضًا البخاري (١٢٤٣) وغيره.

MOSTAFABOOK.COM

وقوله: {الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون} تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن جعل مع الله معبودا آخر.

وقوله: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين} أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر. فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة؛ ولهذا قال: {وكن من الساجدين} .

وأورد ابن كثير أقوالًا أيضًا في أن المراد باليقين الموت ثم قال:

والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارا عن أهل النار أنهم قالوا: {لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين} [المدثر: ٤٣-٤٧].

وأورد حديث أم العلاء الأنصاري المتقدمة ثم قال: ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} -على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري[1]، عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**».

وقال ابن كثير أيضًا:

ويستدل بها (٣) على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا

(١) البخاري (١١١٧).

كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فإنه جواد كريم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر) أي بالذي تؤمر به، أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك. والصدع: الشق. وتصدع القوم أي تفرقوا، ومنه" يومئذ يصدعون «٦» " أي يتفرقون. وصدعته فانصدع أي انشق. أصل الصدع الفرق والشق. قال أبو ذؤيب يصف الحمار وأتنه:

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق ويشق. فقوله:" فاصدع بما تؤمر" قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك، ف" ما" مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر. وقال ابن الأعرابي: معنى اصدع بما تؤمر، أي اقصد. وقيل:" فاصدع بما تؤمر" أي فرق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون بأن يجيب البعض، فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الكفار.

قوله تعالى: (وأعرض عن المشركين) أي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

Mostafatoby.com

قوله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، في هذه الآية الكريمة قولان معروفان للعلماء:

أحدهما: أن معنى {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، أي: لا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا يصعب عليك ذلك، فالله حافظك منهم.

والآية على هذا التأويل معناها: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}، أي: بلغ رسالة ربك، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، أي: لا تبال بهم ولا تخشهم، وهذا المعنى كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [٥/ ٦٧].

الوجه الثاني: وهو الظاهر في معنى الآية: أنه كان في أول الأمر مأموراً بالإعراض عن المشركين، ثم نسخ ذلك بآيات السيف، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [٦/ ١٠٦]، وقوله: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ} [٣٢/ ٣٠]، وقوله: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [٥٣/ ٢٩]، وقوله: {وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ} [٣٣/ ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}، أمر جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بأمرين، أحدهما قوله: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [١٥/ ٩٨]، والثاني قوله: {وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [١٥/ ٩٨].

وقد كرر تعالى في كتابه الأمر بالشيئين المذكورين في هذه الآية الكريمة، كقوله في الأول: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [١١٠/ ٣]،

وقوله: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [٢٠/ ١٣٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَبْكَارِ} [٤٠/ ٥٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وأصل التسبيح في اللغة: الإبعاد عن السوء، ومعناه في عرف الشرع: تنزيه الله جل وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، ومعنى {سَبِّحْ}: نزه ربك جل وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وقوله: {بِحَمْدِ رَبِّكَ}، أي: في حال كونك متلبساً بحمد ربك، أي بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال؛ لأن لفظة {بِحَمْدِ رَبِّكَ} أضيفت إلى معرفة فتعم جميع المحامد من كل وصف كمال وجلال ثابت لله جل وعلا، فتستغرق الآية الكريمة الثناء بكل كمال؛ لأن الكمال يكون بأمرين، أحدهما: التخلي عن الرذائل، والتنزه عما لا يليق، وهذا معنى التسبيح والثاني: التحلي بالفضائل والاتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد، فتم الثناء بكل كمال، ولأجل هذا المعنى ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرَّحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، وكقوله في الثاني وهو السجود: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [٩٦/ ١٩]،وقوله: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} [٧٦/ ٢٦]، وقوله: {وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [٤١/ ٣٧]، ويكثر في القرآن العظيم إطلاق التسبيح على الصلاة.

وقالت جماعة من العلماء: المراد بقوله: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [١٥/ ٩٨]، أي: صل له، وعليه فقوله: {وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}، من عطف الخاص على العام، والصلاة تتضمن غاية التنزيه ومنتهى التقديس. وعلى كل

حال فالمراد بقوله: {وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}، أي: من المصلين، سواء قلنا إن المراد بالتسبيح الصلاة، أو أعم منها من تنزيه الله عما لا يليق به؛ ولأجل كون المراد بالسجود الصلاة لم يكن هذا الموضع محل سجدة عند جمهور العلماء، خلافًا لمن زعم أنه موضع سجود.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم.

فأنت يا محمد {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك.

{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك لكل أحد ولا يعوقنه عن أمره عائق ولا تصده أقوال المتهوكين، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} أي: لا تبال بهم واترك مشاتمتهم ومسابتهم مقبلا على شأنك، {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله

MOSTAFALABIB.COM

عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضا يؤذون الله ويجعلون معه {إِلَهًا آخَرَ} وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} غب أفعالهم إذا وردوا القيامة.

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير س ❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM